معاجم الموضوعات مقاربة في مفهوم الحقل الدلالي الحديث
(ألفاظ الألوان أُنموذجًا)

Thematic lexicons approach the concept of the modern semantic field
(Color terms as a model)

أ.م.د. حليم موسى كاظم (*)
Assistant Professor Haleem Mousa Kadhim (Ph.D.)
haleemmusa62@gmail.com

الملخص:

انتهت الدراسات اللسانية الحديثة إلى نتائج موضوعية حاسمة فيما يتعلّق بالتخاطب والتواصل والتفاهم بين أبناء البيئة اللغوية المعيّنة، وأنّ ذلك لا يكون بكلمات مفردة، أو منعزلة عن المواقف التي يجـري فيهـا الكلام؛ فالمفردة اللغوية أضعف من أن تكون وحدة مسـتقلة؛ لأنّ تلقي اللغة بهذه الطريقة غير ممكنٌ، لكنّ موقع الكلمة بين مجموعة كلمات متصلة بها دلاليًا سيكون أجدى في فهم معنى الكلمة؛ فالمشـكل الأهم في اللغة هو كيفية الوصول إلى المعنى بشـكل دقيق ومفهوم عند أداء عملية التخاطب؛ والمتكلّم عادة ما يبحث عن طريقة مناسبة تقدم له اللغة بشكل واضح وسليم، للوصول إلى المعنى.

(*) المديرية العامة لتربية محافظة القادسية/ معهد الفنون الجميلة للبنين في الديوانية.

لقـد وجـد العلماء والباحثون أنّ ذهن الإنســان به ميل نحو ربط المفـردات بمجموعات لغوية، وعدّوا ذلك من خصائص العقل البشري الذي ينزع نحو الجمع والربط والتصنيف، فالمفردة غير قادرة على الاســتقلال والإيفاء بالمعنى المطلوب عند التواصل، وقد مهدت هذه الأفكار لظهور فكرة المجال الدلالــي أو الحقل الدلالــي؛ وما يقتضيه معناه التام من ربط المعانــي الجزئية ببعضها، فينتج عن ذلك استعمال العناصر بشكل أمثل.

لم يلق المعجم العناية عند بعض الباحثين بحجة أنّه يعالج المفردات خارج التركيب، لكنّ العناية ازدادت مــع ظُهــور فكرة المجال الدلالي الذي يقوم على تجميع الكلمات على أســاس المعنى، ومن ثمّ صار ترابط العناصر وتجانسها في تجمعات لغوية مدخلًا للولوج إلى المعنى بكلّ يسر وسهولة، وهذه القضايــا التــي توصل إليها الفكر الغربي الحديث؛ قد ســبقها بقرون المنجز الــذي قدّمه العلماء العرب القدمــاء عندما وضعوا معاجــم المعاني، بعد أن جمعوا اللغة من أفواه الأعــراب في رحلات متعاقبة، فخضعت المادة المجموعة إلى الفحص والتصنيف، ثمّ وضعت أوّلًا في رسائل صغيرة، ثمّ بعد ذلك في مصنفات أكبر متعددة الموضوعات عُرفت بمعاجم الموضوعات، وهي كثيرة في التراث العربي؛ وقد تجسدت فيها فكرة المجال الدلالي الذي أشبه إلى حدّ كبير فكرة الحقل الدلالي عند الغربيين.

الكلمات المفتاحية: المعجم، الحقل الدلالي، رأس الحقل، المعنى، الموضوعات، مفهوم الحقل.

Abstract

Modern linguistic studies have concluded that communication and understanding between speakers are not achieved through single words, or isolated from the situations in which speech occurs; the linguistic term is too weak to be an independent unit; because receiving the language in this way is not possible, but the position of the word among a group of words connected to it semantically will be more useful in understanding the meaning of the word; the most important problem in language is how to reach the meaning accurately and understandably when performing the communication process; and the speaker usually searches for an appropriate way that presents the language to him clearly and correctly, to reach the meaning.

Scientists and researchers have found that the human mind has a tendency to link vocabulary into linguistic groups, and they consider this to be one of the characteristics of the human mind that tends towards collection, linking, and classification, as the word is unable to be independent and fulfill the

required meaning when communicating, and these ideas paved the way for the emergence of the idea of the semantic field or semantic field; based on the logical idea that sees that complete meaning requires linking meanings to each other, which results in the optimal use of linguistic elements. The dictionary did not receive attention from some researchers on the pretext that it deals with vocabulary outside the structure, but attention increased with the emergence of the idea of the semantic field, which is based on collecting words based on meaning, and then the coherence and homogeneity of elements in linguistic groups became an entry point to access the meaning with ease and simplicity.

These issues that modern Western thought has reached were preceded by centuries by what ancient Arab scholars presented when they established dictionaries of meanings after they collected the language from the mouths of Arabs on successive journeys. The collected material was subjected to examination and classification, then it was placed first in small letters, then after that in larger, multi-topic works known as topic dictionaries, which are numerous in the Arab heritage; and the idea of the semantic field was embodied in them, which is very similar to the idea of the semantic field among Westerners.

Keywords: lexicon - head of the field - semantic field - meaning - topics - concept of the field.

أوّلًا، المقدمة:

إنّ مــن مهــام اللغة اتّباع الطرائق العملية القادرة على توضيح الدلالة؛ وهذا يقتضي اســتعمالها اســتعمالًا صحيحًا، وتقديمها بأيســر طريقة في هذا الاتجاه، ولا يُراد من ذلك أن تكون اللغة منطقية في محــاكاة الواقع؛ فلو كان الأمــر كذلك لكانت تصورات الناس وأفكارها واحدة مع اختلاف لغاتها، فلكلّ مجتمع لغوي تصوراته وأفكاره ونظرته الخاصة إلى الكون والواقع، وهذه كلّها تبدو في لغته. ولعلّ من طرائق تيسير المعنى وفهمه وتحليله هو ميل الإنسان، بصورة عامة، نحو توظيف مفرداته، ووضعها في مجموعات مترابطة معنويًا، يحقق لها وجودها في ضمن رأس دلالي عالٍ يشكل لها غطاء يحتويها؛ فالبحث عن معنى معيّن ينبغي أولًا تحديد مجاله الدلالي، فحقل القرابة مثلًا يستدعي من الباحث تحديد

رأس الحقل (القرابة) والمجال الذي ينتمي إليه وهو (صلة القربى عند الإنسان)، ثمّ يختار منها المعنى المقصود. **ينظر:(خرما، ١٩٧٨: ١٥٩).**

إنّ ذهن الإنسان ليس مكانًا مناسبًا لتموضع المفردة اللغوية وانعزالها بعيدًا عن ارتباطاتها الدلالية الممكنة؛ فاللغة أم لعوائل لغوية تتفرع بحسب مكونات المجموعة الدلالية، فكلمات مثل:(أب، أم، جد، جدة، عم، عمة، خال، خالة، ابن، ابنة) نستشعر وجودها في أذهاننا مجوعة بوصفها أسرة لغوية بينها روابط دلالية، ولو ذكرنا عنصرًا واحدًا منها لاستدعى ذلك إلى الذهن العناصر الأخرى، فسماع كلمة(الأب) يتبادر إلى أذهننا كلمة(الأم)، ولذلك قيل:(الأبوان)، و(الجدان). **ينظر:(فندريس، ١٩٥٠: ٢٣٢).** والحقول الدلالية كثيرة، منها: ألفاظ القرابة، والألوان، والنبات، والأمراض، والأدوية، وقد حفّز هذا الاتجاه العلماء لعمل معجم كامل يضمّ الحقول الموجودة في اللغة، وتقدم فيه الكلمات على أساس حقول دلالية متفرعة.

ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ٨٣).

إنّ حركة جمع اللغة وتدوينها قامت بداية الأمر على دوافع دينية، تتعلّق بشرح النصّ وتفسيره وتأويله، إضافة إلى دوافع أخرى تتعلّق بالحفاظ على اللغة، وتهيئتها لاستيعاب العلوم الأخرى، وتيسير تعلمها، وإبعادها عن تأثير الاحتكاك مع اللغات الأخرى، وتوحيدها، إلى غير ذلك من الدوافع. ومن هنا كانت رحلة العلماء في بوادي الجزيرة العربية، فأُخذت اللغة من أفواه الأعراب الذين لم تفسد ألسنتهم، فكانت تلك العملية بداية لوضع قواعد اللغة التي تعصم اللسان من أن ينحرف لفظًا ودلالة وشكلًا، ممّا اقتضى وضع المعاجم اللغوية، والمصنفات خشية تشتت اللغة وضياعها؛ فألفوا في معاجم الألفاظ، ومعاجم الموضوعات التي بدؤوها بتأليف الرسائل اللغوية التي تتحدث عن مظاهر الحياة في البيئة العربية آنذاك. **ينظر:(ياقوت، ٢٠٠٥: ٥٧).** وقد انتهت هذه الرسائل اللغوية إلى وضع المعاجم التي تقوم على أساس المعنى؛ وتصنيف المدلولات في حقول دلالية، ومن هنا كانت الريادة للعرب في هذا المجال، ابتداءً من القرون الهجرية الأولى؛ في مقابل الغربيين الذين لم يضعوا المعاجم من هذا النوع إلّا في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ثمّ طوّروا عملهم في هذا الاتجاه فقدموا للدراسات اللغوية مفهومًا جديدًا يقوم على تصنيف الكلمات على أساس المعنى في حقول دلالية، انتهت إلى وضع نظرية الحقول الدلالية التي أصبح لها تطبيقات عملية مختلفة في تحليل المعنى. **ينظر:(عزوز، ٢٠٠٢: ١٦)**، بوصفها نظرية في مفهوم المعنى؛ هذا المفهوم الذي ارتبط بما وصل إلينا من تراثنا العربي من معاجم مختلفة، ولا سيّما معاجم المعاني المختلفة. **ينظر:(عبد العبود، د.ت:٢٦٨)**، فكانت هذه الأعمال التراثية المبكرة الممهد الأوّل لظهور المجال الدلالي.

(Semantic Fields) في الدراسات اللغوية الحديثة.

ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ٢٠).

ومع قِدَم فكرة الحقول الدلالية، بوصفها مبحثًا دلاليًا من مباحث علوم العربية، إلّا إنّ نظرية

الحقول الدلالية هي إحدى مباحث علم الدلالة الحديث، وطريقة من طرائقه في تحليل المعنى والوصول إليه بطريقة أيسر وأسهل، وهي تشبه إلى حدّ كبير التجمعات الدلالية في معاجم الموضوعات العربية من حيث التجمعات الدلالية التي يجمعها لفظ أعلى (رأس الحقل) على وفق مواصفات معيّنة تؤهله لأن يكون اللفظ العام الجامع الذي يرتبط بعناصره، وهي كذلك، ارتباطًا دلاليًا.

ينظر:(عبد العبود، د.ت: ٢٦٤).

ولقيت نظرية الحقول الدلالية عناية العلماء والباحثين في أوربا؛ بعد أن بانت ملامحها العامة وأسسها المركزية، وإن كانت الدراسات حولها لم تنته، لكنّ خطوطها العامة قد وضحت، وأصبحت مفاهيم الكون تمثّل واحدًا من تمثلات هذه النظرية وما تقوم عليه من مقولات كلية وعامة توجه الباحث عن المعنى، نحو فهم المفردات بناء على علاقاتها ببعضها. **ينظر:(الفجر، ٢٠١٢: ١٥٧).**

وأخيرًا، فإنّ منهجنا في هذا البحث يقوم على الوصف والتحليل، وأنّ اختيار الألفاظ وبعض التقسيمات وما يرد من هذا القبيل، قد جاء عشوائيًا، ولم يعتمد على ترتيب معين.

ثانيًا، الألوان: البنية والدلالة والمصادر:

لألفاظ الألوان حيّز في اللغة، شأنها شأن المفردات الأخرى، فهي في المعجم جانب مهم له وجود أساسي في اللغة، وفي الجانب الصرفي أيضًا، إذ تشكل مادة أساسية في مسائل الصرف وموضوعاته، والنحو وأبوابه، والدلالة بوصفها منتهى الكلام وغاياته في الإخبار والتبليغ والتداول. وقد نالت ألفاظ الألوان عناية الباحثين العرب قديمًا وحديثًا؛ وبدا ذلك على ألسنة الخطباء والشعراء، وما ظهر في مؤلفات اللغويين وغيرهم، لكنّ العناية بها ازدادت مع تقدم الحضارة العربية وازدهارها، وإبداع الذوق العربي في تلمس جمال تمازج الألوان وتحسس تداخلها، واستعمالها بمصطلحات خاصّة تعبّر عنها، وتدلّ عليها. **ينظر:(خليفة،١٩٨٧: ٩)**، فهي لذلك – أي الألوان– نزهة للناظر، فإن تمازجت زاد ألقها، وحَسُن الكلام بها؛ ولذلك سمّوا هذا التمازج بـ(التدبيج)، بوصفه فنًا بديعيًا، وأسلوبًا بيانيًا. **ينظر:(ابن جُزي، ١٩٨٦: ٥١).**

وتشكل ألفاظ الألوان، في الصرف، مساحة واسعة من أبواب الأفعال وأوزانها، ولا يقتصر ذلك على الألوان الأساسية المعروفة، بل هناك ألوان فرعية كثيرة متولدة من الألوان الرئيسة، كقولهم: (غَرِبَ)، في إشارة إلى سواد الغراب، ونحو قوله تعالى:(**وغرابيبَ سود)[فاطر، ٢٧]**، ونحو:(دَعِجَ) في إشارة إلى شدّة سواد العين، ونحو:(غَبِشَ) في إشارة إلى اللون الأبيض الذي يضرَب إلى السواد، ومنه قيل للذئب أغبش، ولآخر الليل الغَبَش، و(سَخِمَ) وهو سواد القدر، وعَصِمَ وهو بياض في ذراعي الظبي دون سائره، ودَكِنَ وهو اللون الأحمر المائل إلى السواد... إلى غير ذلك. **ينظر:(ولد عدود، د.ت: ٥٨٤-٥٨٥) و(شلاش، ١٩٧١: ١٠٦)**. ونجد أنّ بعض الألوان تكثر في أبواب وأوزان صرفية معيّنة، مثل: وزن (فَعِلَ) نحو: كَدِرَ، وشَهِبَ، وسَوِدَ، وحَمِرَ، وخَضِرَ، وصَفِرَ... والأغلب

فـي الألـوان: افْعَـلّ وافْعَالّ، نحو: ابْيَضّ واسْـوَدّ واذْهـامّ. **ينظر:(سـيبويه، ١٩٨٣: ٤/٢٥و٧٦)، و(الأندلسـي، ١٩٩٨: ١/١٧٧) و(عضيمـة، ١٩٩٩: ١١٤)**. ويأتي (افْعَلّ) غالبًـا للون أو العيب الحسي اللازم، و(افعالّ) في اللون والعيب الحسي العارض، وقد يتبادلان الدلالة. **ينظر:(الاستراباذي، ١٩٨٢: ١/١١٢) و(شلاش، ١٩٧١: ١٠٣) و(عمايرة، ٢٠١٢: ٣١٣)**، ويأتي هذان الوزنان أيضًا للتعبير عن ثبات الصفة وشـدّة لصوقها بالموصوف، أو لطروئهـا وحدوثها. **ينظر:(الخليل، ١٤٠٩: ٣/٢٢٦-٢٢٧)، و(الأزهـري، ١٩٧٦: ٥،٥٤) و(ابن بري، ١٩٩٥: ٤٧) و(الدينوري، ١٩٦٣: ٥٧٩) و(الجوهري، ٢٠٠٩: ٢٧٩) و(السيوطي، د.ت: ١/٤١) و(الخفاجي، ٢٠١٢: ١٥٠) و(ابن منظور، ١٩٦٨: ٢/٩٨٩) و(ولد عدود، د.ت: ٣٣-٣٤).**

ومن صيغها الوصفية وزن (أفْعَل) مثل:(أدكن)، و(فعول) مثل: خضور، وفعيل خضير للدلالة على ثبات اللون وشـدته، وصيغة اسـم الفاعـل (فاحم) للدلالة على طروء اللـون. ومنها مزيد الثلاثي علـى وزن افعَـلّ (اخضرّ) وافعالّ (اخضارّ) وافعوعل اخضوضـر. **ينظر:(عمر، د.ت: ١٠)**، وتأتي للمبالغة، فوزن (افعوعل)، كقولهم في الألوان: (اخضوضر)، بقصد إشباع اللون والمبالغة فيه وتأكيده. **ينظر:(سـيبويه،١٩٨٣: ٤/٧٥-٧٦)**، ولذلـك نجد فرقًا بنيويًـا ومعنويًا للون الواحـد عندما نقول: خَضِـرَ واخضـارّ واخضرّ واخضوضـر. **ينظر:(عمر، د.ت :٢٤)**، ومنه ما جـاء على وزن (فَعْل)، كقولهم: جَوْن، ووَرْد. وعلى وزن (فَعيل) نحو: خصيف، ويشير إلى اللون الأسود المائل إلى الخضرة. **ينظر:(سـيبويه، ١٩٨٣ :٤/٢٦)**، ومن أفعال الألوان الثلاثية المجردة، من باب (فَعِلَ– يَفْعَل)، نحو: أدِمَ– يأدَمُ، وصَدِئَ– يَصْدَأُ. **ينظر:(المصدر السابق، ٤/٢٥) و(عمر، د.ت: ٣٣).**

وأمّا من ناحية منهج البحث في الألوان فقد تطوّر، وتعددت المحاولات للوصول إلى وضع نواة لمعجـم خـاصٌ بها؛ ولعلّ ملامح مثل هذا المعجم نجدها في كتب القدماء، كما فعل (النمري)، في كتابه (الملمّع)، وتحديده لمعنى اللون وتأكيده، مسـتعينًا بالشـواهد الشـعرية التي اختارها من أشعار الفحول من الجاهليين والإسلاميين، وهذا يعني أنّ دلالات الألوان لها جذور عميقة وممتدة، فهي نتاج عصرها وبيئتها التي تأخذ منها ملامحها وأوصافها وألوانها الأساسية والمشتقة، وكلّما حدثت تحولات معيّنة في البيئة، حضارية أو غيرها؛ تجد صداها في الألوان مفهومًا ونوعًا وعددًا ودلالة، لتواكب ما يحدث من وقائع في جوانب الحياة المختلفة؛ ولذلك نجد أنّه كلّما حدث تجديد وتطوّر وانتقال حضاري معيّن؛ كلّما نضجت الأبحاث والدراسات حولها، فقد أصبح لها أهمية في بعض مجالات الحياة ومتطلباتها، فأدرك القدمـاء أهميتهـا، ووصفوا بيئتهم بألوانها الأساسـية؛ ثمّ اشـتقوا لها ألوانًا فرعية؛ فتميّزت دراسـاتهم بالعمق والاتسـاع، كمـا حرصوا على تحديد دلالات الألـوان. **ينظر:(خليفة، ١٩٨٧: ١٣-١٤)**. ولا تخلـو لغـة من اللغات من ألفاظ الألوان المشـاهدة ضمـن موجودات البيئة، وهـي تختلف في عددها، وفي نوعها أحيانًا، إن كانت بسـيطة أو مركبة (ظلال الألـوان) فرعية، واختلفوا في الألوان الفرعية. **ينظر:(عمر، د.ت: ١٠).**

وأفرد **ابن سـيده** السـفر الثاني من كتابه المخصص للألوان بحثًا خاصًّا، أورد فيه بعض من آراء اللغويين في تعريف اللون، فهو مثلًا يذكر قول **ابن دريد** في الألوان: بأنّ "لون كلّ شيء ما فصل

بينه وبين غيره، والجمع ألوان، وقد تلوّن ولوّنته"**(ابن سـيده، ٢٠٠٥: ١٠٣/٢)**، ويعرّف ابن سـيدة الألوان: السّـواد والبياض، ثمّ يورد قول **الفارسي** في هذا المجال، فيقول: "ومثّلوا بهما طرفي النهار، فقالوا: "الصباح والمساء؛ لأنّ الصباح وضح، والمساء سواد". **(المصدر السابق: ١٠٣/٢)**.

واللون عند ابن منظور(ت٧١١ه)"هيئة كالسّواد والحُمرة، ولون كلّ شيء: ما فصل بينه وبين غيـره". **(ابـن منظور، ١٩٦٨: ٤١٠٦/٥)** أو هو"صفة الجسـد من البياض والسّـواد". **(الفيومي، ١٩٧٧: ٥٦١/٢)**. وقيـل فـي اللـون بأنّـه جنس الأجنـاس؛ لأنّه مقسـم للحمرة والبيـاض والصفرة والسّواد... والقديم منه اثنان هما: السّواد والبياض، ومنهما تؤخذ باقي الألوان بالتركيب. **ينظر:(خليفة، ١٩٨٧: ١٣)**. يذهـب بعـض العلماء والدارسـين إلى القـول بأنّ اللون لا وجود لـه؛ وإنّما هو يُتخيّل يحتاج إلى حضور شـيء آخر، فالبياض نجده في الأشياء الشـفافة، مثل: الزجاج والبلور، وفي الثلج، وزبد الماء؛ والسّـواد يُتخيّل بضد ذلك، ويذكر **ابن سـينا** في كتابه (الشفاء) أنّه لا يعلم بحدوث السّواد أو البيـاض بطريق غير التخيّل. **ينظر:(ابن سـينا، ١٩٨٨: ٩٢-٩٣)**، وأمّا مَن قال بوجودهما فهما عنـده الأصل، وما عدا ذلك ألـوان فرعية تحصل بطريق مزج هذين اللونين. وقال آخرون إنّ الألوان الرئيسـة خمسـة، هي: البياض، والحمرة، والسّـواد، والخضـرة، والصفرة. وما عـدا ذلك هي ألوان فرعية تدرك بالمشـاهدة، وتحصل بالتمازج والخلط بين الألوان البسيطة غير المركبة بمقادير مختلفة. **ينظر:(الآلوسي، ١٩٢١: ٧٦/١-٧٨)**.

أمّـا عـدد الألـوان فقد اختُلِفَ فيها، فليس هناك حد معيّن لعددها، فهي عند **ابن سـيده** في كتابه المخصص ثلاثة: أحمر، وأسـود وأبيض، وهي عنده مسـتعملة قريبة، وما عدا ذلك وحشـية غريبة لا تـدور فـي اللغة مدارها، ويعلل ابن سـيده ذلك بأنّهم يقولون: أبيض ناصع، وأحمر قُمُدٌّ، وفي الأسـود غربيب. **ينظر:(ابن سيده، ٢٠٠٥: ١٠٦/٢)**. لكنّ **النمري**، كان أكثر تحديدًا وموضوعية، حين عدّ الألوان الأساسـية في اللغة العربية خمسـة، هي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر، وأرجعهـا إلى خلـق الله، ووصفها بالنواصع الخوالـص من بين جميع الألوان، ولـم يعتبر هذا خاصّا باللغـة العربية وحدها، وإنّما اعتبره عامّا في اللغات كلّها. **ينظر:(النمري، ١٩٧٦: ١) و(ابن جزي، ١٩٨٦: ٤٩) و(عمر، د.ت: ١٥)**.

ولم يكتفوا بذكر الألوان الخمسـة، بل ذهبوا إلى ذكر الألفاظ التي تدلّ على إشـباعها واسـتحكام اللون وتمكنه فيها؛ كقولهم: أسـود حالك، وأصفر فاقع، وأبيض سـاطع، وأحمر قانئ، وأخضر ناضر، وهـي خاصّـة بالألوان النواصـع؛ لأنّها دليل صفائهـا وأصالتها، وهي الألوان الأساسـية، وفي قبالها الألوان المركبة ولم يقولوا بإشباعها. **ينظر:(الثعالبي، ١٩٣٨: ٩٤)**، فإلى جانب الألوان النواصع في اللغـة العربية؛ هناك ألفاظ لألوان فرعية كثيرة ربّما هي غير قابلة للحصر والعدّ. **ينظر:(عمر، د.ت: ٩)**.

وردّ النمري الألوان المشـتقة (المركبة) إلى هذه الألوان الخمسـة؛ لأنّها هي النواصع، وما عدا ذلك فهي من غير النواصع كالشقرة والغبرة والسمرة، وغيرها، تُردّ إلى نوعها، فالشقرة إلى الحمرة، والسُّـمرة إلى السّـواد، والغبرة إلى البياض، إلى غير ذلك، فالنمري بهذا يؤسس لحقول دلالية، فيجعل

النواصـع الخمسـة وحدهـا بوصفها حقلا، ثمّ يأتي بحقل آخر وهو ما يسـميه (تأكيـد الألوان)، كقوله: أصفر فاقع، وأسـود حالك...وهكذا يستمر في اسـتغراق تأكيدات الألوان مع الشواهد. **ينظر:(المصدر السابق: ٨).**

ويتحـدث **أبـو عبيدة** في كتابـه (الخيل) عن كثير من الألـوان التي يعرفهـا، ويحدد دلالاتها، وتمازجها، فيرى مثلًا أنّ الألوان تتوالد، وتحتمل لألوان أخرى فالأخضر–كما يقول– يتولد من تمازج الأسـود والأبيض، وهو بـدوره، أي الأخضر، يحتمـل اللونين، وهكذا نجد أنّ الألـوان النواصع هي مصـادر للألوان الفرعية المختلفـة. **ينظر:(خليفة، ١٩٨٧: ١٣)**، وهناك ألوان ناتجة عن التداخل أو التمازج أو التقارب بين لونين، مثل: الشُـربة: بياض مُشـرب بحمرة، والدُّبسـة: بين السّواد والحُمرة، وهكذا. **ينظر:(الثعالبي، ١٩٣٨: ٩٥)**، واللّون عند اللغويين القدماء ليس مطلقًا أو مختصًّا، بل يقرره نوعه وحجمه ومكانه وصفته وتمازجه مع غيره من الألوان.

وليـس هناك وفاق تامّ في تسـمية الألـوان عند العرب، فهناك خلاف واختـلاف، **فابن قتيبة**، مثلًا ومعه أبو عبيدة يزعمان أنّ الصفراء عندهم هي السـوداء، وأنّ الأصفر عندهم هو الأسـود، لكنّ هذا الرأي واجه نقدًا بعد أن عرض الناقدون شـواهد كثيرة تؤكد غلط ما ذهب إليه **ابن قتيبة وأبو عبيدة**، فلو تكلمت العرب بما ذكراه لشاع، كما قيل للأسود أخضر وللأبيض أحمر، ولكنّ العرب لم تتكلّم به. **ينظر:(النمري، ١٩٧٦: ٩٧-٩٩).**

وهنـاك دقـة متناهيـة في التعبير عن الألوان في اللغة العربية، وفي تقسـيمها وترتيب لواحقها، وإن كانـت هنـاك صعوبات في إيجاد الفاظ مناسـبة للتعبير عمّا يميّز الألـوان؛ نظرًا لتزايد عددها في العصر الحديث، واختلاطها وتشابكها؛ حتى أنّ بعض الأزهار التي نبتت في أماكن معيّنة دون غيرها لـم يصطلح عليها أسـماء معيّنة، ولا ألوان توصف بها، وكانت لغتنا قديمًـا لا تضع ألفاظًا للألوان إلّا المُشـاهَد منهـا. **ينظر:(جبـري، ١٩٦٧: ٩٩-٢٠٠)**؛ والإصطلاح في لغة القدمـاء ينحصر على الألوان المشـاهدة أو التي تقع عليها العين فحسـب؛ ربّما لأنّها جزء من خبرتنا، فاللون الأحمر هو لون الـدم، واللون الأزرق هو لون البحر ولون السّـماء، واللون الأخضر هو لون النبات الحي، ولذلك فإنّ ألفاظ الألوان لها أهمية في استعمالاتها اللغوية، وقيمة في دراسة جانبها الدلالي، وبخاصّة في محاولة المقارنة الموضوعية بين نظامين لغويين. **ينظر:(بالمر، ١٩٨٤: ٨٦).**

إنّ ألفاظ اللغة العربية، بشكل عام، والألوان بخاصّة، مأخوذة من مصادر مختلفة من محسوسات البيئة المحيطة وموجوداتها؛ فمنها ما هو مشتق من الطبيعة، كقولهم: (أشقر)، ومن الحيوانات كقولهم: (لون عرسـي) نسـبة إلى ابن عرس؛ لأنّه يشبه لونه، ومن الطيور كقولهم: (غرابي) نسبة إلى الغراب الشديد السّواد. **ينظر:(الإسكافي، ١٩٨: ٢٠٠٠)**، ومثل ذلك كثير. ومن أمثلة ما أُخذ من النبات: اللون التبنـي الـذي يشـبه لون التبن، ولون مُعنّم من العنم، نسـبة إلى شـجر له ثمر أحمر. ومنـه ما أُخِذَ من المعـادن والأحجـار كقولهم: أملح من الملح، وقالوا: أدخن مـن الدخان، وأعفر لون التراب، وأغضب للحمرة الشديدة، وهو المأخوذ من حمرة الغضب، وأسفع وهو من سفع النار لما يؤدي لفحها إلى تغيير لون البشرة. وأطحل من الطحال، وقالوا: أقمر للأبيض مأخوذ من القمر. **ينظر:(عمر، د.ت:٢٥-٢٦).**

وربّمـا فـي وقت لاحـق أصبح عدد الألوان الأساسـية أكثر، فـزاد عددها تبعًا لذلـك، أمّا الألوان (أرجواني برتقالي تبني سـمائي أو ماوي) فلم ترد في لغة العرب على أقلّ تقدير، فاسـتعملت أسـماء وصفات في الوقت نفسـه، فالأساسي ما كان مستعملًا اسمًا قبل استخدامه وصفًا للعربية، فلفظ برتقالي منسـوب إلى البرتقال؛ ولذلك هو مسـتحدث، ثمّ أنّه لا يوجد لفظ في ألفاظ الألوان العربية يؤدي مدلوله بدقة، وعلى الرغم من وضوح مدلولات الألفاظ الأساسية في الوقت الحاضر فقد كان من بينها نوع من التداخل عند العرب القدماء. **ينظر:(المصدر السابق:١٦-١٧).**

إنّ الحديـث عـن الألـوان ليس سـهلًا، بـل هو موضوع مبهـم وغامض؛ إذ ليـس هناك حدود موضوعيـة يقـف عندها مفهوم الألوان؛ وقـد أتاح هذا الأمر لعلماء الدلالة للبحـث فيه والوقوف على اسـتعمالاته في اللغة. ففي الإنجليزية مثلًا أحد عشـر لونًا أساسـيًا، هي: (الأصفر والأبيض والأحمر والوردي والأسود، والأزرق والبرتقالي والأخضر والإرجواني والرمادي والزهري)، وليس في اللغة اللاتينية ما يشـير إلى دلالتي اللونين الرمادي والبني، ويعبّر عنهما بوحدات مسـتقرضة، وللتعبير عن اللونين الرمادي والبني تسـتعمل اللغة الهندية – الأمريكيـة بنية دلالية واحدة، فضلًا عن أنّ هذه اللغة لا تفرق بين البنيتين الدلاليتين أخضر وأزرق، وفيها أيضًا وحدتان للإشـارة إلى اللون الأسـود، هما: واحدة يشار بها لسواد الظلام، وواحدة يشار بها لبعض الأشياء، نحو: الفحم... وكلمة(**awo**) في اللغة اليابانية تشير إلى ثلاثة ألوان: (**blue**) الأزرق، و(**green**) الأخضر، (**pale**) الشاحب؛ والسياق هنا هو الفيصل في تحديد المراد، كالحديث الذي يجري عن النباتات كالخضروات، أو البحر، أو السُحب. وتسـتعمل لغات أخرى الرسـم لتوضيح اللون المطلـوب، وهذا التباين دليل علـى أنّ لكلّ لغة نظامها الخاص فيما يتعلّق بالألوان. **ينظر:(كريستال، ١٩٩٦: ٢٧٨).**

إنّ مـا ذُكـر هنا ليس سـوى غيض من فيض، فيما يتعلّق بالألوان ومـا قدّمه العلماء العرب في هـذا المجـال، على وفق مناهـج لا تختلف كثيرًا، وإن اختلفـوا قليلًا من ناحية عدد الألوان الأساسـية والفرعيـة، أو اختلافهم في تحديد مفهوم اللون ودلالاته، وإشـباعه وتأكيده، أو وظلاله عند المحدثين. ولا يكاد مؤلف في معاجم الموضوعات يخلو من باب أو فصل للحديث عن الألوان وما يتصل بها من قضايا. ولعلّ **النمري** في كتابه **الملمع** قد انفرد عن غيره من أصحاب الرسائل أو معاجم الموضوعات؛ حين وظّفه للحديث عن الألوان، على وفق منهج منظم يمكن أن يؤسـس لنواة معجم دلالي شـامل فيه الإنسـان والحيوان والنبـات، إلى غير ذلك. وإن كان المخصص أكثر نضجًـا وأفضل منهجًا، فأصبح مصـدرًا أساسـيًا في اللغـة، فقد أفاد منـه المؤلفون فيما بعد، فصـار مصدرًا مهمًا فـي مجال الألفاظ الدالـة على الألوان المختلفة؛ وقـد صنفت الموضوعات الدالة على الألوان، في هذا الكتاب، على وفق الموضوعـات العامة، والمنهج الذي وضعه **ابن سـيده** في معجمه، وهـو أوّل معجم للمعاني متكامل بالعربية. **ينظر:(خليفة، ١٩٨٧: ٣٠).**

ثالثًا، نظرية الحقول الدلالية عند الغربيين:

(النشأة والتطوّر):

إنّ بدايات منهج الحقول الدلالية تعود إلى تخلي بعض المذاهب اللغوية عن دراسة المعجم، لأنّه بحسب تقديراتهم يقلل من قيمة السياق في تحديد معنى المفردة اللغوية، وينحو بها إلى العموم، ومثلهم فعل النحاة التوليديون التحويليون الذين نظروا إلى المعجم بعدّه جزءًا من النحو؛ غير أنّ أكثر الباحثين ينكرون تحديد تاريخ معيّن لنشأة نظرية الحقول الدلالية، أو تحديد الأسباب التي أدّت إلى نشأتها؛ وإن كانت هناك دواعٍ وأسباب، فهناك مَن يقول: إنّ(دي سوسير) كان أوّل المنظرين لهذه النظرية، في حديثه عن القدرة الإيحائية لبعض الكلمات باستدعاء كلمات أخرى ترتبط معها بعلاقة في مجال دلالي معيّن، فكلمة مثل:(تعليم) تستدعي الكلمات:(تربية، علم، معلم، تعلّم...) من الذهن بمجرد ذكر كلمة معينة من هذه الكلمات؛ فهم يربطون بين هذه النظرية والعلاقات الإيحائية ومفهوم القيمة التي تحدث عنها سوسير، وتأكيده من أنّ قيمة العنصر تبدو في وجوده من بين عناصر أخرى، فالفرس على رقعة الشطرنج يستمد قيمته بترابطه مع القطع الأخرى، لا لسبب آخر. **ينظر:(سوسير، ١٩٨٤: ١٤٢-١٤٥)**؛ ولأنّ دي سوسير يشدد على مفهوم الترابط ربطوا هذه الفكرة بنظام المجال الدلالي الذي يقوم على علاقات ترابطية بين مجموعة كلمات، ترتبط بلفظ عام، وتنتمي إلى مجال دلالي معيّن، وهذه الطريقة تسهم في سرعة الوصول إلى المعنى المطلوب.

ينظر:(جاد الرب،١٩٩٢: ٢١٥-٢١٦) و(بالمر،١٩٨٤: ٧٧) و(عبد الجليل،٢٠٠١: ٧٦).

ويرى بعض الباحثين أنّ فكرة (القيمة) في نظر دي سوسير، تتصل بهذه النظرية، فللكلمة معنيان: معنى في ذاتها، وآخر يتصل بقيمتها في وجودها ضمن مجال دلالي معيّن؛ ومن هنا فإنّ فكرة القيمة اللغوية عند دي سوسير ترتبط مباشرة بنظرية الحقول الدلالية، بحسب ما يدّعون. **ينظر:(جاد الرب، ١٩٩٢: ٢١٦).**

ويشير أولمان إلى أنّ رواد المدرسة الجديدة (نظرية الحقل) تعود في الألمانية إلى(هردر **Herder**)، عام ١٧٧٢م، وآخرون، وأنّ معظم الأفكار التي طوّرها(تريير) توجد بوضوح عند(أوستيهون) أحد علماء مدرسة النحاة الشّبان، أمّا شيوع المصطلح بوصفه مفهومًا لغويًا فإنّه يعود بداية إلى(هوسرل)، و(فرديناند دي سوسير). **ينظر:(المصدر السابق :٢١٤-٢١٥).**

ويشير بعض الباحثين إلى أنّ النشأة الأولى لهذه النظرية، بوصفها طريقة تبحث في الكلمات المترابطة دلاليًا، إنّما تحقق على يد الألماني (ترير Trier ت١٩٣٤م) الذي عمل على تصنيف بعض مفردات اللغة الألمانية الخاصّة بالمعرفة والفكر، ومقارنته حقل الجانب الفكري بين حقبتين زمنيتين، هما: القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي. **ينظر:(بالمر، ١٩٨٤: ١٥٤)**، لكنّ ترير لم يستعمل مصطلح الحقول الدلالية، بل كان يستعمل مصطلحات مثل: الحقل المعجمي أو الحقل المفهومي؛ لكنّ (سطورStor) في نظر بعض الباحثين هو أوّل من استعمل هذا المصطلح. **ينظر:(عزوز، ٢٠٠٢: ١١).**

وقـدّم (تريـر) فرضيته التي تقوم على تجميع الأفـكار والألفاظ في مجوعات، كلّ واحدة تغطي حقلًا محددًا على المستوى الدلالي، بمعنى أنّ كلّ حقل يتكوّن من تجمع لوحدات متجاورة، مع مراعاة ما يطرأ من تغيّرات على اللغة عبر الزمن في مستوياتها المختلفة. **ينظر:(جرمان ولوبلون، ١٩٩٧: ٥٥)**، مع الأخذ بالحسبان عدم التكرار بانتماء بعض الكلمات إلى أكثر من حقل، والعناية بالسياق الذي ترد فيه الكلمة، وتركيبها النحوي. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ٨٠)** ومن ثمّ فإنّ هذه النظرية تضع مفردات اللغة على شـكل تجمعات تركيبية ينفي عنها التسيّب المزعوم لبعض الوحدات اللغوية، كما أنّه يكشف الفجوات المعجمية وتوزيعها. **ينظر:(جرمان ولوبلون، ١٩٩٧: ٥٩)**، ليتسنى تحليل المعنى على وفق منهج هذه النظرية الذي يعنى بدراسة العلاقات بين مكونات الحقل الدلالي الواحد. **ينظر:(عبد العبود، د.ت :٢٦٩)**. وتقـوم نظريـة الحقـول الدلالية على بنـاء تنظيمي يضمّ مفاهيم ومبادئ عامة، وأسـس مركزيـة قائمة علـى التحليل المنهجي المنظم الـذي تقوم عليه هذه النظريـة، كالعناية بتوضيح أنواع العلاقات الدلالية المدروسة داخل الحقل الدلالي، التي يحصرونها في أنواع، هي: الاشتمال(التضمّن)، والترادف، والتضاد، والتنافر، وعلاقة الجزء بالكلّ. **ينظر:(قدور، ٢٠٠٨: ٣٦٥)**.

لقد تطورت هذه النظرية حين بدأ عدد من اللغويين السويسريين والألمان والفرنسيين، وغيرهم، بدراسة عدد من الحقول الدلالية التي تشمل الألفاظ الفكرية والقرابة والألوان والنبات والأدوية إلى غير ذلك، وعملوا على الانتقال بالدراسة من البحث في تاريخ الكلمة إلى البحث في مجالات استعمالها، وقد قادت هذه الدراسات إلى التفكير في صناعة معجم واسع يضمّ الحقول الموجودة في اللغة.
ينظر:(ماطوري، ١٩٧٠: ٦) و(قدور، ٢٠٠٨: ٣٦٣) و(عزوز، ٢٠٠٢: ١٥).

إنّ منهج التصنيف الذي عُرفت به نظرية الحقول الدلالية، وقيامها على فكرة التصورات والمفاهيم العامة التي أُسست النظرية بموجبها، أهّلَها لتكون المنطلق لصناعة معجم شامل خاصّ بمجتمع معيّن، ويمثـل حقبـة تاريخية معيّنة؛ ينظم مفردات لغة ما في نظام مبني علـى رؤية العالم والخبرة والمعرفة البشـرية. **ينظر:(ماطوري، ١٩٧٠: ٦) و(طحان، ١٩٨٤: ٩٣)**، وعلى ضوء هذه الرؤية أصبح لها تصوراتها وإجراءاتها ومنهجها في تحليل المعنى في إطار فكري ولسـاني؛ وعليه كانت هذه الأسـس والمنطلقـات هـي الدافع لظهور هـذه النظرية، وأنّ فكـرة رؤية العالم هي المرجعيـة التي انبثق منها ظهورهـا. **ينظر:(زرّال، ٢٠٠٨:١٨٩)**. وعلى الرغم من أنّها تقـدم خدمة في مجال التحليل الدلالي؛ لكنّهـا بهـا حاجة إلـى المراجعة والتقييـم والتطوير لكي تصل إلى مسـتوى يؤهلهـا لأن تكون منهجًا متكاملًا، وأداة فعالة في تحليل المعنى. **ينظر:(المصدر السابق :٢١٦)**.

وكان للعلماء العرب القدماء جهود واضحة في هذا المجال، فكانوا سباقين إلى التفكير بهذا النوع من التصنيف بحسب المعاني أو الموضوعات، وقد بدأوا هذه الدراسات بالتأليف في الرسائل الصغيرة التي تخصّ موضوعًا محددًا. **ينظر:(قدور، ٢٠٠٨: ٣٦٦)**؛ لكنّ التاريخ لهذه النظرية في الدراسـات العربية القديمة لا يشـير إلى المصطلح المتداول عند الغربيين؛ وإن كان القدماء العرب قد اهتدوا إلى هذه الطريقة أو الفكرة قبل الغربيين بقرون طويلة؛ فوضعوا معاجم المعاني وصنفوا مواد اللغة بحسب المجالات الدلالية. **ينظر:(عزوز، ٢٠٠٢: ١٢)**.

رابعًا، مفهوم الحقل الدلالي:

تأتي أهمية الحقل الدلالي من الأهمية التي يتميّز بها علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة، بوصفه علمًا يبحث في دراسة المعنى الذي هو قمة الدراسات اللغوية الحديثة، وأحد أهم مخرجاتها؛ فقد شغل العلماء والباحثين في مجالات وعلوم مختلفة قديمًا وحديثًا، فمنذ ظهور علم الدلالة الحديث في النصف الثاني من القرن العشرين والبحث جارٍ في أصول هذا العلم في التراث العربي من خلال كتب اللغة والمعاجم بأنواعها، وبخاصة معاجم المعاني. **ينظر:(عبد العبود، د.ت :٢٧٤).**

إنّ اللغة ليست واضحة دائمًا في التعبير عن دلالاتها، فقد يواجه الباحث كثيرًا من الصعوبات بسبب الغموض واللّبس والتعمية، فيلجأ إلى بعض الآليات القادرة على تحديد المعنى وتعيينه؛ كالسّياق الذي ترد فيه العبارة أو الكلمة، فهو قادر على تعيين المعنى المراد، وإزاحة المعاني الاحتمالية الزائدة، فالسياق معيار تُحدد بموجبه الدلالة. ومن بين الآليات الأخرى لتحديد الدلالة هو المجال الدلالي الذي ترد ضمنه العبارة أو الكلمة، فكلمة (أم أو أب) يقعان في مجال أو في حقل (القرابة)، والباحث عن كلمة (أب) سيصل \غليها بشكل مباشر من بين أخواتها في الحقل نفسه، وعلاقتها دلاليًا برأس الحقل الدلالي؛ والبحث هنا يتخذ طريقين: أن يكون لديك كلمة معيّنة وتبحث لها عن معنى، كما يحدث في معاجم الألفاظ؛ وبين أن يكون لديك المعنى وتبحث عن الكلمة في ضمن مجال دلالي معيّن؛ ويتكفل بهذا الحقل الدلالي الذي هو مجوعة كلمات تجمعها مفاهيم متقاربة في ما بينها، وتقع تحت مفهوم عام يضمّها، هو مفهوم (القرابة) مثلًا، فالحقل الدلالي للألوان -مثلًا- يكون على الشكل الآتي:

اللفظ العام (أو رأس الحقل الدلالي) هو اللون: وتحته مجموعة مفاهيم هي عناصر الحقل الدلالي: (الأبيض، الأسود، الأحمر، الأصفر، الأخضر...) كلّ عنصر في الحقل يرتبط دلاليًا بعلاقة اشتمال أو تضمّن مع رأس الحقل (اللون)، بمعنى أنّ رأس الحقل (لون) يتضمّن الأبيض والأسود وهكذا. **ينظر:(عزوز، ٢٠٠٢: ١٢) و(ابن خويا، ٢٠١٦: ١٠٤)**؛ وعليه فإنّ الحقل الدلالي: هو مجموعة ألفاظ تشترك في معنى عام، وتوضع تحت لفظ عام، وقد سبق القدماء العرب المحدثين الغربيين في هذا الاتجاه. **ينظر:(كمال الدين، ٢٠٠٧: ٦٨).**

والغاية من نظرية الحقول الدلالية جمع الكلمات التي تنتمي إلى حقل أو مجال معيّن، والكشف عن علاقاتها ببعضها، وبرأس الحقل الدلالي أيضًا، فضلًا عن محاولة تحديد البنية الدلالية لكلّ كلمة في الحقل الدلالي، فهي أيضًا محاولة لمعرفة صلة القرابة الدلالية بين عناصر الحقل الدلالي. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ٨٠)** الذي يُشترط فيه أن تكون هناك علاقات بين عناصره، وبينها وبين رأس الحقل، وقد عُني أصحاب نظرية الحقول الدلالية ببيان هذه العلاقات داخل كلّ حقل من الحقول المدروسة، وتسمى بالعلاقات الدلالية، كالترادف والتضمّن والتضاد وعلاقة الجزء بالكلّ، وليس من الضروري أن يكون كلّ حقل مشتملًا عليها جميعًا، فقد تضمّ بعض الحقول كثيرًا منها، على حين تقل في حقول أخرى، كلّ ذلك يدخل في بحث المعنى وفهمه، بوصفه محصلة علاقة الكلمة بالوحدات الأخرى في الحقل نفسه. **ينظر:(المصدر السابق :٩٨) و(عبد العبود، د.ت :٢٧٦-٢٨٦)**، ففهم معنى المفردة اللغوية

يعتمد بالأســاس على موقعها أو صلتها بمجموعة المفردات أو العناصر في الحقل الدلالي (أي صلتها الدلالية). **ينظر:(عزّار، ٢٠٠٢: ٤٤).**

ويعـرّف (أولمــان **Ullmann**الحقل الدلالي بأنّه:"قطاع متكامل مــن المادة اللغوية، يعبّر عن مجال معيّن من الخبرة". **(عمر، ١٩٨٢:٧٩)**، وكلّ مفردة من هذه المفردات تكتسب دلالة جديدة عن طريق صلتها بالوحدات الأخرى في الحقل؛ زيادة على دلالتها الذاتية خارج الحقل، أو دلالتها السياقية في النسق التركيبي. **ينظر:(نهر، ٢٠٠٧:٥٦٦).**

ففهــم معنى وحدة لغوية معيّنة مشــروط بفهم الوحدات الأخــرى المرتبطة بها دلاليًا في الحقل، وهــذا هو هدف تحليل المعنــى في نظرية الحقول الدلالية، جمع الوحدات فــي مجالها المحدد، وتحديد صلاتهــا ببعض، وباللفــظ العام، أو برأس الحقــل الدلالي الذي يضمّ الوحدات الأخــرى داخل الحقل. **ينظر:(حيدر، ٢٠٠٥: ٧٩-٨٠) و(عمر، ١٩٨٢: ٨٠)**، فضلًا عن السياق بوصفه الآلية القادرة على تعيين المعنى الحضوري المراد، وإزاحة المعاني الزائدة أو المحتملة، مع مراعاة عامل الزمن وتأثيره فــي تقلبــات الدلالة وتطورها. **ينظر:(نهــر، ٢٠٠٧: ٥٦٤)**، فالتحليل يقتضي أيضًا، بحســب بعض الباحثين، مراعاة تحديد الحقبة التاريخية المدروســة التي يقع في ضمنها الحقل الدلالي، كذلك مراعاة الطبيعــة الاجتماعيــة. **ينظر:(ماطوري، ١٩٧٠: ١٣٠-١٣٢)**، ويكشــف التحليل أيضًا عن الفجوات داخل الحقل، ويعمل على سدّ النقص فيها. **ينظر:(عبد الجليل، ٢٠٠١: ٧٩).**

واللغــة نظــام، وقيمــة كلّ عنصــر من عناصرها لا يتعلّق بهذا النظام بســبب طبيعته أو شــكله الخاص؛ بل يتحدد بمكانه وعلاقته داخل هذا النظام، ممّا يؤكد التراص القائم بين الكلمات وما يجاورها مــن كلمــات داخل الحقل الواحد، أو فــي مجموعة من الحقول؛ فلو حصلت فجــوة وظيفية، أو أُقحمت كلمة في حقل متناســق أو أُبعدت عنه، أو غيّرت موضعها؛ لأدى ذلك إلى اضطراب يؤثر في مجموع مفردات الحقل. **ينظر:(طحان، ١٩٨١: ١٤).** والعناصر داخل الحقل ليســت على وضع متســاوٍ، فالحقــول تنقســم بحســب تصنيفها، وكلّ حقل يشــتمل على العناصــر التي تخصّه، وهكــذا تتفرّع عن الحقول الكبيرة حقول صغيرة، ومن ثمّ تختلف الحقول بالنظر إلى حجمها بحســب الحيّز المكاني الذي تشــغله؛ ويعــدّ حقل الكائنات أكبرها، ثم حقــل الأحداث، ثمّ المجردات، وآخرها مــا يتصل بالعلاقات. **ينظر:(عزوز، ٢٠٠٢: ١٦).**

تعددت الآليات التي استعملها اللغويون العرب القدماء في دراسة الألفاظ وتحديد دلالاتها؛ وهي كثيــرة، منها وضع المعاجــم، والتأليف في كثير من الظواهر اللغويــة، أو من خلال وضع الألفاظ في مجموعات بحسب المجالات الدلالية المختلفة، أو ما يسمى اليوم الحقول الدلالية التي تقوم على تجميع الكلمــات التــي تتصل ببعضهــا بعلاقات دلالية وملامح مشــتركة؛ كالحقول المتصلة المحسوســة مثل الألوان، أو المحسوسة المنفصلة كحقل القرابة، أو الحقول التجريدية التي تقوم على الأفكار والمفاهيم، ولها غطاء أو لفظ عام يجمعها، وتعود عليه عناصر الحقل، أو العلاقات الدلالية داخل الحقل، كالتضمّن أو الاشــتمال، أو التضــاد أو الترادف أو علاقة الجزء بالــكل. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ١٠٧) و(نهر، ٢٠٠٧: ٥٦٣).**

وتواجــه واضعي مثل هذه المعاجم (بحســب الحقول الدلالية) صعوبــات تتعلّق بحصر الحقول الموجودة في اللغة وتصنيفها، وكذلك التمييز بين المفردات الأساسية والهامشية داخل الحقل الدلالي. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ٨٥-٨٦).**

إنّ فهــم معنــى كلمة في الحقل يقتضي فهم العناصر الأخــرى، فالمجال الدلالي الواحد هو الذي يمنح الكلمة رابطها الدلالي الممتد بينها وبين مثيلاتها في الحقل الدلالي، وعليه فإنّ تصنيف الحقل الذي يضمّ الكلمة يُسهل تحديد دلالتها، مثال تصنيف حقل دلالي للقرابة: نلحظ أنّ المصنف اعتمد على مجال دلالي هو القرابة، والمعروف أنّ مجرد ســماع هذا اللفــظ (القرابة) يذهب بالذهن إلى مجموعة ألفاظ، هي:(الأب، الأم، الأخ، الأخت، العمّ، الخال، الخالة، الحفيد، النسيب، ابن الأخ)، ومن ثمّ فإنّ التصنيف مدخل أساسي لوضع العنصر الواحد، أو مجموع العناصر، داخل الحقل في حدودها الدلالية الدقيقة. **ينظر:(بن يونس، ٢٠١٦: ١٩-٢٠).**

وتوقــف الباحثــون في هذه النظرية عند عدد من المبادئ الأساســية التــي تخصّ الحقل الدلالي وانتظــام عناصــره وحدودهــا، كضبــط العناصر وعــدم التكرار، ومراعاة الســياق، وأيضًــا مراعاة المؤشــرات النحوية فهي آلية أساســية فــي تحديد الوظائــف النحوية لكلمات الحقــل الدّلالي، وصلتها بالعلاقات الاســتبدالية التي وظفتها بعض المدارس اللّغوية فــي تحليل الجملة، فهي خير مثال لعلاقتها بالتحليل النحوي، كلّ هذه المبادئ الغرض منها ضبط الحقل الدلالي، ومنع التسيّب في عناصره، فضلًا عن صلتها بتحديد المعنى وتحليله. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ٨٠) و(حيدر، ٢٠٠٥: ١٧٥).**

وبعــد اطــلاع الباحثين العرب المحدثين علــى نظرية الحقول الدلالية عنــد الغربيين وجدوا أنّ تشــابهًا بينها وبين المعاجــم الموضوعية عند القدماء العرب؛ وكان هذا التشــابه مدعاة للعناية بمعاجم الموضوعات، وطريقة تصنيفها بحسب المجالات الدلالية؛ غير أنّ فارقًا بينهما –بحسب الباحثين– من نواحٍ عدّة، فالأســس الفلســفية والثقافية والحضارية التي أســهمت في ظهور هذه النظرية في المجتمع الغربــي تختلــف، عنها فــي البيئة العربية التي ظهــرت في ظلّها معاجم الموضوعــات؛ فضلًا عن أنّ هنــاك فرقًا في المنهج وفــي الغاية التي ينبغي مراعاتها عند المقاربة بيــن النظريتين في أثناء البحث. **ينظر:(زرّال، ٢٠٠٨: ٢٠١).**

وسنقف في المبحث القادم عند فكرة الحقل الدلالي في الدراسات العربية القديمة، ومدى التشابه والاختلاف بينه وبين الحقل الدلالي عند الغربيين؛ مع فضيلة السابق العربي، على اللاحق الغربي.

خامسًا، مفهوم الحقل الدلالي في معاجم الموضوعات القديمة:

ظهرت معاجم الموضوعات في وقت مبكر في الحياة الفكرية عند العرب، وعُرف هذا النوع من المعاجم أوّل الأمر بالرســائل اللغوية التي وضع فيها الأوائل تصورهم لجمع اللغة من أفواه الأعراب، وقد حملت تلك الرســائل موضوعات مختلفة، مثل: الخيل والإبل والمطر وسواها، بعدها بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة المعجم الموضوعي؛ وذلك بضم أكثر من موضوع داخل معجم قائم بذاته، وقد عني القدماء بهذا النوع؛ ولكنّه لم يلق عناية الباحثين المحدثين، وإن تناولوه بالبحث والتحليل؛ غير أنّ البحث

فيه كان يفتقد إلى العمق.

ينظر:(ياقوت، ٢٠٠٥: ٧-٨).

إنّ فكرة تجميع مفردات اللغة في مجال معيّن؛ هي فكرة سبق إليها العرب الأوربيين؛ فالغرض من جمع اللغة هو رصد المفردات وتصنيفها في حقول، أو ما يسمى عند الغربيين بـــ (الحقل الدلالي)؛ لكـنّ العرب لـم يصطلحوا عليه كما فعل الغربيون الذين أقاموا نظريتهم فـي الحقول الدلالية، ومن ثمّ وجدوا شـبهًا واضحًا بينهما من ناحية تصنيف المدلولات بحسـب المجال الـذي تنتمي إليه. وقد عالج العرب موضوعات معاجمهم أوّلا في كتيبات أو رسـائل صغيرة مسـتقلة، مأخوذة من أشـياء موجودة في البيئة، فهناك رسـائل في الخيل أو الحشـرات أو الإبل... إلى غير ذلك، ثمّ ظهرت في مرحلة لاحقة هي مرحلة معاجم مرتبة حسب المعاني، مثل:(كتاب الخيل) **لأبي عبيدة**، و(الغريب المصنف) **للقاسم بن سـلام**، وكتاب(خلق الإنسـان) **لأبي ثابت محمد بن أبي ثابت**، وهو من تلامذة **ابن سـلام**، و(فقه اللغة وسرّ العربية) **لأبي منصور الثعالبي**، والمخصص **لابن سيده**، ومبادئ اللغة **للخطيب الإسكافي**، إلـى غيـر ذلك من الرسـائل والكتب، وهي كثيرة جدًا، سـيرد بعضهـا في ثنايا البحـث، ولعلّ كتاب (المخصص) **لابن سيده** أكثرها نضجًا فهو كتاب موسوعي كبير، أفاد كثيرًا من المصادر التي سبقته.

ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ١٠٨-١١٠) و(حيدر، ٢٠٠٥: ١٧٦-١٧٨) و(خليفة، ١٩٨٧: ١٣-١٤).

ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ ظهور نظرية الحقول الدلالية عند الغربيين كانت الحافز المؤثر للبحث في المعاجم العربية القديمة، وبخاصة معاجم الموضوعات والعناية بها، ومحاولة إيجاد مقاربة بينها وبين الدراسات الغربية في هذا المجال؛ غير أنّ لكلٍّ منهما بيئته الخاصّة التي نشأ في ظلّها، لكنّ المقاربـة بينهمـا ممكنة من منظور منهجي وإجرائي، يبيّن لنا كيف وصل العمل الغربي إلى مسـتوى النظرية.

ينظر: (زرّال، ٢٠٠٨: ١٨٣).

تضـمّ معاجـم المعانـي موضوعـات مختلفة فـي المعجم الواحد الذي يقسـم إلـى كتب وأبواب وفصول، فهناك ما يخصّ الإنسان وما يتعلّق به، والحيوان وما يتعلّق به، والطبيعة وما يتعلّق بها، إلى غيـر ذلـك. أمّا الألوان فهي جزء قد يتعلّق بالإنسـان، أو الحيوان أو النبات... وجلّ كتب الموضوعات كانـت تتنـاول الألوان بوصفها بابًا أو فصلًا، كألوان الخيل وألوان الإنسـان وألـوان الزهور، وأنواع الألوان الأساسـية والفرعية، وكلّ ذلك يظهر في حقول دلالية. وقد اخترنا الألوان لتكون شـاهدًا على أمثلة الحقول الدلالية في معاجم المعاني التراثية.

إنّ ترتيـب مـواد اللغـة في معاجم الموضوعات جاءت على شـكل حقول دلاليـة، ونظرًا لتعدد الموضوعات في المعجم الواحد أُطلق على هذا النوع اسم معاجم الموضوعات، والمفردات فيها مرتبة بحسب الموضوع الخاص بالمجال الدلالي المعيّن. وفائدة هذا النوع من المعاجم تكمن في ترتيب الألفاظ علـى وفـق تجمعات لها رابط دلالي واحد؛ وفي ضوء ذلك وجـد الباحثون تقاربًا بين هذه المعاجم وما يسـمى اليوم بالحقول الدلالية التي تقوم على منهج التصنيف والمفاهيم الكليّة. **ينظر:(الفجر، ٢٠١٢: ١٥١-١٥٢).** ويطلـق على معاجم الموضوعات أحيانًا اسـم (معاجم حقول المعاني) بناء على ترتيب

المادة اللغوية بحسب المعنى لا بحسب اللفظ كما هو في معاجم الألفاظ، بمعنى أنّ تصنيف المفردات يتم على أساس تجمعات دلالية. ومقاصد التأليف في مثل هذه المعاجم لا يخلو من أن يكون لغويًا أوّلًا، يُراد منـه معرفة أسـرار اللغة ووجوهها المختلفة لأغراض تعليميـة، وربّما لخدمة جانب معيّن من جوانب الحيـاة ومتعلقاتهـا، كالتأليف في الخيل ووصفها لما لها من أهميـة في حياة العرب آنذاك. **ينظر:(عبد القادر، ٢٠١٤: ٤٤).**

وأقـدم مـا وصلنـا في هذا المجال (كتاب الخيـل) لأبي عبيدة معمر بن المثنـى الذي تحدث فيه عـن الخيـل والعناية بها، كما أفرد فيه مكانًا للحديث عن ألوانها، غيـر أنّ حديثه عن الألوان لم يخرج عـن الخيـل وألوانها المتصلة بأجزاء بدنها ودرجاتها، كقوله: (الغيهب أشـدّ سـوادًا، والدجوجي دونه في السـواد، وهو صافي اللون، والأكهب الذي لم يشتدّ سـواده، ولم يصفْ لونه...) وعلى هذا المنوال يستمر في حديثه عن الألوان الأخرى في منهجه القائم على تحديد الألوان وتأكيدها وإشباعها على عادة القدماء، أو ما نسميه حديثًا بـ(ظلال المعنى). **ينظر:(التيمي، ١٣٥٨: ١٠٣-١٠٨).**

وقد بدا عمل أبي عبيدة قريبًا إلى حدّ بعيد، من فكرة الحقل الدلالي عند المحدثين، إذ يقوم منهجه على تجميع ألفاظ الألوان على أساس المعنى، واختيار لفظ عام هو بمثابة رأس الحقل الدلالي، كاللون الأسود الذي تقع تحته درجات هذا اللون، وصلة كل درجة برأس الحقل، أو علاقة العناصر فيما بينها، وعلى الشكل الآتي:

- رأس الحقل (درجات اللون الأسـود): (الغيهب أشـدّ سـوادًا، والدجوجي دونه في السـواد، وهو صافـي اللون، والأكهب الذي لم يشـتدّ سـواده، ولم يصفْ لونه...). وهكذا نجـد **أبا عبيدة** يضع اللون الواحـد فـي درجات، يصنع منها حقـلًا دلاليًا، لفظه العـام هو(درجات اللون الأسـود) ثم يضع تحته العناصر المتصلة به دلاليًا بعلاقة هي (التضمّن)، فكلّ عنصر في الحقل هو متضَمَّن في رأس الحقل، كما أنّ العناصر مرتبطة ببعضها دلاليًا أيضًا برابط هو (اللون الأسـود)، ونلحظ أنّ الحقل يبدأ بالأشـد سـوادًا، ثـمّ يتـدرج حتى يصل إلى الأقلّ سـوادًا، مع العنايـة بالعلاقات الدلالية التي تعـدّ من المبادئ الأساسـية فـي نظريـة الحقول الدلالية عنـد الغربيين؛ وقد نالـت عناية العلماء العـرب القدماء، فبنوا معاجمهم الموضوعية على منوالها. **ينظر:(زرّال، ٢٠٠٨: ١٩٤).**

وفـي منهج اسـتقصائي يقوم على تأكيد اللون وتحديده بربطه بالمـكان المحدد في بدن الفرس، وهي محاولة لتقديم المعنى بشـكل دقيق، وبعيد عن اللّبس، وربّما كان الهدف هو تقديم نوع من الخيل موصـوف بشـكل دقيـق لتحديد الأفضل؛ ونلحـظ ذلك عنده وهو يشـرح لنا أنواع (الشـيّة) في الخيل ويحددها باعتبار مكانها، ويُراد بالشيّة اللون الأبيض المخالف للون العام للفرس؛ ولذلك نجد أبا عبيدة يشـرح لنا كلّ أنواع الشـيّات محـددة وموصوفة باعتبـار مكانها، وواصفًا التموجـات الدقية للألوان، ومفصـلًا إياها، ووضعها على شـكل حقل دلالي، لفظه العام (أو رأسـه) هو:(أنواع الشـيات باعتبار مكانهـا)، كالآتي:(**الغرر**: أعظم الغرر وأفشـاها ما كان في الوجـه. **القرحة**: كل بياض كان في جبهة الفـرس، ثـمّ انقطع، قبل بلوغ المرسـن. **الرَّثْم**: كلّ بيـاض أصاب الجحفلة العليا، قـلّ أو كثر، إلى أن يبلغ المرسـن. **اليعسـوب**: كلّ بياض يكون على قصبة الأنف ثمّ انقطع قبل بلوغ المرسن. **اللّمظة**: كلّ

بياض في الجحفلة السفلى فهي لمظة، وإذا شاب الناصية بياض فهو **أسعف**). **ينظر:(التيمي، ١٣٥٨: ٨-١٠).** وهذه الشيات ليست ألوانًا؛ بل هي ألفاظ تشير إلى مكان معيّن لونه أبيض، لأنّ كلّ الشيات في هذا الحقل على تعددها واختلاف ألفاظها؛ إنّما تشير إلى أمكنة مختلفة، وكلّها باللون الأبيض.

ويقوم منهجه على تأكيد اللون بآخر فرعي أو بوصف معيّن، كقولهم: أبيض يَقَق. فهو يجعل من كلّ تأكيد لون، ثم يشرح هذه الظلال بالتفصيل من خلال صلاتها الدلالية، بما لا يقتصر على اللون المحدد، وإنّما يشمل أيضًا أوصافها. وعندما يتحدث عن (الحُوّة) يذكر تأكيدات هذا اللون، فيقول في حديثه عن الخيل: «فمنهنّ أحوى أحم، وأحوى أصبح، وأحوى أطحل، وأحوى أكهب». **(المصدر السابق: ١٠٤)**، فيجعل من هذا اللون وتأكيداته حقلًا دلاليًا، لفظه العام (الحوّة وتأكيداته)، ثمّ يذكر التأكيدات بوصفها عناصر للحقل الدلالي، تنضوي تحت اللفظ العام بعلاقة احتواء أو تضمّن.

ولذلك كان منهج **أبي عبيدة**، كما هو منهج القدماء، يقوم على خلق الألوان واشتقاقها ليس من الألوان الرئيسة فحسب؛ بل من مواضع محددة في بدن الحيوان أو الكائن الحي بشكل عام، فهو يؤكد اللون بمكانه في بدن الفرس، أو بإشباعه واستحكامه بألفاظ معيّنة، نحو قولهم: أصفر فاقع، وأسود حالك، فرأس الحقل هو قوله: (أحوى) وكلّه يشير إلى اللون الأسود: لكنّه يضعه في حقل دلالي يضمّ مؤكّدات اللون الأسود، وهي (أحوى أحمّ، وأحوى أصبح، وأحوى أطحل، وأحوى أكهب)، فإذا أردنا البحث في أي تأكيد هنا سنجده في الحقل الدلالي(الأحوى). وسنجد أيضًا أنّ عناصر الحقل الدلالي تتصل ببعضها، وبرأس الحقل دلاليًا بواسطة اللون الأسود، وبعلاقة دلالية هي (التضمّن).

فإذا كان بدن الفرس خاليًا من الشيّة ولونه واحد خالص أطلقوا عليه (بهيم) أي خالٍ من الألوان. وهذا مثال آخر لحقل دلالي من هذا النوع: رأس الحقل الدلالي هو (الشيّة في الفرس) :(الغُرّة، والقرح، والرثم، والتحجيل، والسعف، والنبط، والسّبغ، والشعل، واللّمظ، واليعسوب، والتعميم، والبلق). **ينظر:(المصدر السابق: ١٠٨)**، وبما يشبه إلى حدّ بعيد الحقل الدلالي عند المحدثين؛ فكلّ عنصر في العمود يرتبط دلاليًا برأس الحقل الدلالي بعلاقة دلالية هي التضمّن، فرأس الحقل يتضمّن كلّ عنصر في الحقل؛ فضلًا عن أنّ العناصر ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر معجم خاص بالألوان، هو(**الملمّع**) **للنمري** الذي نحى فيه مؤلفه منحى آخر عندما خصّه بالألوان، تحدث فيه عن كلّ لون ومؤكداته من خلال النصوص والشواهد الشعرية وهي كثيرة في كتابه وهو دليل عنايته بالسّياق خلافًا للآخرين، ممّا يضفي على منهجه قيمة خاصّة ويجعله أقرب ما يكون إلى نواة معجم متكامل لألفاظ الألوان. **ينظر:(خليفة، ١٩٨٧: ١٤)**

وتحدث النمري في كتابه عن ألوان أشياء كثيرة سواء كانت من أجناس مختلفة يجمع بينها اللون، أو من جنس واحد، فإذا كان الجبل أبيض، فهو أعبل، فإذا كان الحصى أبيض، فهو مَرْوٌ، فإذا كان العسل أبيضَ فهو ضَرَبٌ، فإذا كان العنب أبيضَ فهو مُلاحيٌّ، فإذا كانت الخمرة بيضاء فهي صهباء، فإذا كانت الوردة بيضاء فهي وثيرة. **ينظر:(النمري، ١٩٧٦: ٥٢-٥٩).**

ونلحظ هنا أنّ الجبل لا يكون أعبلَ إلا إذا كان أبيضَ، وكذا الأشياء الأخرى، فمع اختلافها يجمع بينها اللون الأبيض، غير أنّها يجب أن تكون في وضع معيّن ليكون كلّ شيءٍ منها أبيض، فالأبيض

ليس مطلقًا، إذ لا بدّ أن يكون مقرونًا بمحددات معيّنة هي بمثابة دلائل لما يستحق أن يكون بهذا اللون. ومن هنا يمكن أن نجد حقلًا دلاليًا، رأسه: (اللون الأبيض لأشياء مختلفة)؛ فكلّ شيء له علاقة دلالية برأس الحقل الدلالي، فالجبل الأعبل متضمَّن في الأشياء البيضاء المختلفة، وكذا الأخريات، ثم نجد أيضًا أنّ صلة دلالية تربط بين عناصر الحقل، هذه الصلة هي اللون الأبيض.ومثله(اللون الأحمر لأشياء مختلفة) فيكون الحقل الدلالي على الشكل الآتي: (إذا كانت الناقة حمراء: فهي كميت، وإذا كانت النعجة حمراء: فهي الدُّهمة، فإذا كان الجبل أحمر: فهو هضبة، فإذا كانت الأرض حمراء الحصى فهي حشرمة، فإذا كان الكمءُ أحمر فهو جَبْءٌ، فإذا كانت الخمرة حمراء فهي كميت). **ينظر:(المصدر السابق: ٩٣-٩٦).**

وفي باب ذكر السواد يتحدث **النمري** عن درجة اللون وإشباعه وتأكيده، ومثل هذا كثير عند أصحاب معاجم المعاني، فترد عندهم جنبًا إلى جنب في حقل واحد، وإن لم يقصدوا إلى ذلك، ومثال ذلك درجات اللون الأسود، إذ يقوم النمري بوضعها في حقل عنوانه (درجات اللون الأسود):

أسود حالك وحانك. وهو أشد سوادًا من حنك الغراب.

وأسود حُلبوب.

وأسود غربيب، والجمع غرابيب. قال تعالى: (وغرابيب سود).

وأسود غيهم وغيهب.

وأسود فاحم. أي: كلون الفحم.

وأسود غُداف. وغدافي.

وأسود دجوجي.

وأسود غُرابي كلون الغراب.

وأسود خُداري.

أسود مَدهام.

وأسود يحموم، وسمي الدخان يحمومًا لسواده. **ينظر:(المصدر السابق: ٦٠-٦٦).**

وإن كانت هذه المعاجم تقوم على مناهج تستند إلى علاقات دلالية بين الألفاظ، وبينها وبين اللفظ العام، أو رأس الحقل الدلالي، لكنّها لم تكن منطقية في كثير من المواضع. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ١١٠)**؛ جراء العشوائية وتكرار العناصر أثناء التصنيف، وإن كان الشكل يشير إلى حقل دلالي بالمنظور الحديث.

(**مبادئ اللغة**) **للخطيب الإسكافي**، خصص في كتابه بابًا سمّاه (باب ألوان الخيل) تحدث فيه عن الألوان بأنواعها، وقد حصرها في ثمانية ألوان، هي: "الدُّهم، الحُوُّ، ثمّ الخُضْر، والكُمت، والوراد، والشُقر، والصُفر، والشُهب" وهي عنده ألوان رئيسة مختصة بالخيل، ولذلك نجده يذكر الألوان الفرعية فيقول: الدُّهم ستة ألوان، والحوّ أربعة ألوان، ومثلها في الخضر، وفي الكمت يذكر سبعة ألوان أيضًا، وفي الشقر سبعة ألوان أيضًا، وفي الصفر أربعة ألوان فرعية. ويلحظ أنّ كلّ لون

رئيسي من ألوان الخيل يتضمّن حقلًا دلاليًا فرعيًا يضمّ الألوان الفرعية لكل لون رئيسي، فالأصفر مثلا هو لفظ عام أو رأس حقل دلالي يتضمّن أربعة عناصر:(أصفر فاقع، أصفر أعفر، أصفر ناصع، أصفر ذهبي)، ويحرص الإسكافي على تعريفها وبيان ما يتصل بدرجة كلّ لون. **ينظر:(الإسكافي، ٢٠٠٠: ١٩٦- ١٩٩).**

لون آخر من ألوان الخيل التي ذكرها الإسكافي في كتابه (الشقر) ويضم سبعة عناصر هي درجاته، فإذا جاز لنا أن نسمي (الشقر) هو اللفظ العام، وما تحته عناصر الحقل، فيكون الحقل الدلالي على الشكل الآتي: رأس الحقل هو(الشقر) ويضم العناصر الآتية: (أشقر أدبس، وأشقر أصبح، وأشقر سِلْغد، وأشقر مُدّمى، وأشقر أمغر، وأشقر أفضح، وأشقر أقهب). **ينظر:(المصدر السابق: ١٩٨).** وهكذا يستمر الخطيب الإسكافي في طرح ألوان الخيل وتفصيلاتها وإشباعها تفصيلًا وتحديدًا لموضعها في بدن الفرس. ونلحظ في الحقلين السابقين، أنّ الحقل الأوّل الرئيسي يشير إلى أنّ الخيل تأتي على هذه الألوان؛ غير أنّ التحديد الدقيق لهذه الألوان على بدن الفرس يشير إلى تفصيل وإضافات في تأكيد الألوان وإشباعها على عادة القدماء، وهو ما نجده في الحقل الثاني الفرعي، وهو حقل الدُّهم، فاللون هو الدّهم الأسود؛ لكنّه يصبح أشدّ سوادًا عند قولنا: (أدهم غيهب)، بعد تأكيد اللون وإشباعه، يصبح لدينا حقلان مزدوجان، حقل رئيسي وآخر فرع منه.

ونلحظ أيضًا أنّ عناية العرب بالألوان هنا، وإن كانت واضحة إلّا أنّ المقصود عندهم هو الخيل بكلّ تفاصيلها، نظرًا لمنزلتها الكبيرة في حياة العرب؛ ولعلّ وصفهم الدقيق والمفصل لها غرضه مراعاة الأذواق، وتحديد الأفضل، فالعناية إذًا بألوان الخيل من أجلها لا من أجل الألوان؛ مع أنّهم استطاعوا أن يصفوا بدقة اللون ودرجاته وتفرعاته ومواضعه، ومن ثمّ لم يكن في بالهم ولا في أفكارهم أن يتحدثوا عن فكرة الحقل الدلالي التي جاء بها الغربيون، وإن كانت هذه الفكرة قريبة إلى حدّ ما إلى طريقة تصنيف المعاجم التراثية، ومحاولة تجميع المفردات على أساس المعنى، وأنّ المشابهة بالمصادفة لا يقدح بعمل العلماء العرب القدماء؛ فضلًا عن أنّ السبق للعرب في هذا المجال وهذه فضيلة تحسب لهم.

وأمّا كتاب (فقه اللغة وسرّ العربية) **لأبي منصور الثعالبي**، فقد كان أكثر وضوحًا ونضجًا وترتيبًا للمادة اللغوية، ولم يخرج عن الموضوعات الرئيسة فيما يتعلّق بالإنسان والحيوان والنبات، والقضايا الأخرى، أمّا ما يتعلّق بالألوان فقد عقد لها بابًا هو الباب الثالث عشر (في ضروب من الآثار والألوان)، وقد حرص في حديثه عن الألوان على اختيار أسهل الألفاظ وأشهرها، وعني بها عناية واضحة؛ وقد أفاد كثيرًا ممّن سبقه من علماء اللغة؛ فتميّز كتابه بالدقة والإيجاز والوضوح.

أمّا الحقول الدلالية في هذا الكتاب فبدت واضحة بعيدة عن العشوائية إلى حدّ ما، وإن كان التداخل والتكرار سمة في هذه الكتب. ففي الباب الثالث عشر، عقد الثعالبي فصلًا (في الإشباع والتأكيد). ويمكن وضع حقلين دلاليين لهذه الألوان، قبل إشباعها وبعده، على الشكل الآتي: رأس الحقل (الألوان الأساسية): (أسود، وأبيض، وأصفر، وأخضر، وأحمر). هذا حقل دلالي تحققت فيه العلاقات

الدلاليــة بيــن عناصر الحقل، فكلّ منها لون أساســي؛ كذلك كلّ لون يتصل بــرأس الحقل بعلاقة دلالية هــي التضمّن، فكلّ لــون متَضَمَّن في رأس الحقل. فإذا أُريد تأكيد هذه الألوان وإشــباعها وجعلها أكثر نصاعة أُضيف لها بعض الألفاظ للتدليل على خاصيّة استحكام اللون بالموصوف المعيّن؛ على الشكل الآتــي: رأس الحقل (في الإشــباع والتأكيد) وتحته عناصره المؤكّدة أو المشبعة:(أســود حالك، أبيض يقق، وأصفر فاقع، وأخضر ناضر، وأحمر قانئ). **ينظر:(الثعالبي، ١٩٣٨: ٩٤)** فالألوان هنا تشبعت وصارت أشدّ، فالأسود صار حالكًا، أي: أشدّ سوادًا، والأخضر ناضرًا، وهكذا.

وفي فصل (في ترتيب البياض) يجســد لنا الثعالبي فكرة الحقل الدلالي بوضوح، وقد اعتمد في ذلــك على التدرج الدلالي في وضع العناصــر داخل الحقل الدلالي، متخذًا من (ترتيب البياض) عنوانًا لرأس الحقل الدلالي أو ما يســمى (اللفظ العام)، ونلحظ أيضًا أنّ كلّ عنصر من عناصر الحقل يرتبط بعلاقة دلالية مع رأس الحقل، ومع بعضها أيضًا، فجاءت على الشــكل الآتي: رأس الحقل هو (ترتيب البياض): (أبيض، ثمّ يقق، ثمّ لهق، ثمّ واضح، ثمّ ناصع، ثمّ هجان، وخالص). **ينظر:(المصدر السابق: ٨٤)**، يصــف لنا الثعالبــي بدقة تصنيف الحقول الدلاليــة، وترتيب عناصرهــا، وارتباطاتها الدلالية، وعلاقاتهــا برأس الحقــل الدلالي، وترتيب اللــون الأبيض ودرجاته، والعلاقــات الدلالية بين عناصر الحقــل الدلالي(الترادف)، وبينها وبين رأس الحقــل الدلالي علاقة تضمُّن، مع اختيار أفصح اللهجات. **ينظر:(نهر، ٢٠٠٧: ٥٧٧).**

وفــي فصل (في تقســيم الســواد والبياض على ما يجتمعان فيه) يوضح لنــا **الثعالبي** أنّ اجتماع اللونين الأبيض والأســود في شــيء معيّن ينتج لنــا لونًا آخر بناء على تغيّر النــوع، وكلّما تغيّر النوع تغيّر اللون المركب بلفظ جديد، أو أنّ الألوان عندما تجتمع تتغيّر بتغيّر مكان الاجتماع في النوع، فإذا اجتمــع اللونان الأبيض والأســود في الفرس فهو(أبلق) وفي التيس(أخــرج)، وفي الكبش(أملح)، وفي الثور(أشــيه)، وفي الغراب(أبقع) وفــي الجبل(أبرق)، وفي الأفعى(أرقش)، وفــي الدجاجة (رقطاء). فكلّمــا تغيّر الشــيء تغيّــر معه اللفظ المعبّر (عن الأبيض والأســود)، فعندما يجتمع هــذان اللونان في الفــرس فهــو أبلق لا أخرج. وعليه فهذا حقلٌ دلالي، عنوان الفصل فيه هو اللفظ العام، وعناصر الحقل هــي: (فــي الفرس: أبلق، في التيس: أخرج، في الكبش: أملح، في الثور: أشــيه، في الغراب: أبقع، في الأفعى: أرقش، في الدجاجة: رقطاء). **ينظر:(الثعالبي، ١٩٣٨: ٩٣).**

ومــن علمــاء القرن الثامن الهجــري **عبد الله بن محمد بن جُزي**، وله (كتاب الخيل)، تحدث فيه عن ألوان الخيل، وذكر أنّها عشرة، وهي: الدُّهمة، والخُضرة، والصُّدءة، والكُمتة، والوُردة، والشُّقرة، والصُفــرة، والصِّنابية، والشُــهبة، والبَلق" **(ابن جزي، ١٩٨٦: ٥٤)**، ففي بــاب (الدُّهمة) ويعني بها السّــواد الخالص، يذكر لنا **ابن جُزّي** ما نســتطيع تسميته حقلًا دلاليًا لدرجات السّواد في الخيل بوصفها رأس الحقل الدلالي، وعناصره على الشكل الآتي:

- الأدهم: أشدّ الخيل سوادًا.

- والجَوْن من الخيل: أقلّ سوادًا.
- والأحمّ: هو الأدهم الذي هو أقلّ سوادًا من الجون.
-والأكهب من الخيل: هو الأدهم الذي لم يشتدّ سواده ولم يصف لونه.
- والأحوى: هو من الدّهم أقلّ سوادًا من الجوْن.
- والأصبح من الدّهم: هو مثل الأحوى، وتكون منخراه إلى الكتمة.
- والغيهبي من الخيل: هو الأدهم الحالك السّواد.
- والدّجوجي من الخيل: هو الأدهم الصافي اللون. **ينظر:(المصدر السابق: ٥٨-٥٩).**

إنّ هـذا النـوع من التأليف يُراد به ترتيب المادة اللغوية وإدارتها بشـكل منظم؛ يخدم مَن يبحث عن المعنى المحدد بطريقة يسـيرة؛ وهي تنفع أيضًا؛ لأنّها تسـاعد على خزن ما جمعوه من أهل البادية في رحلاتهم، بعد تصنيفه في كتب وأبواب وفصول؛ وهذه الطريقة في ترتيب المادة اللغوية في معاجم المعاني يمكن أن تكون وسـيلة مناسـبة للثقافة اللغوية تنفع الشـعراء الباحثين عـن المعاني والقوافي، والكتّاب، وصنّاع الكتابة الفنية؛ نظرًا لتحكم المعنى في هذا النوع من المعاجم؛ ولذلك سـميت بمعاجم المعاني. **ينظر:(ياقوت، ٢٠٠٥: ١٥-٢٠) و(جاد الرب، ١٩٩٢: ٢٤٢-٢٤٤).**

ولم يكتفوا بجمع الألفاظ فحسب؛ بل أخذوها من أفواه الأعراب مع ما يعزز مجراها في سياقها المحدد، الأمر الذي يؤكد معناها بشـكل دقيق وواضح، ولذلك عنوا عناية فائقة بتصنيف ما جمعوا كلّ في مجاله الدلالي الذي ينتمي إليه، معززًا بالشواهد والأقوال المأثورة، ممّا يدل على عنايتهم بالسياق. **ينظر:(ياقوت، ٢٠٠٥: ٣٢٢).**

يقول **الراعي النميري** يصف إبلًا. **(النميري، ١٩٩٥: ٦٢):**

أقامت به حدّ الربيع وجارها...أخو سلوة مسّى به الليل أملح.

والمعنى: أقامت الإبل بذلك الموضع أيام الربيع، فما دام الندى يسقط فهي في سلوة من العيش؛ لأنّ نـدى الليل يجيرها من العطش، وقد وصف الندى بالأملح لبياضه. **ينظر:(المصدر السـابق الهامش: ٦٢).**

إنّ لهذه المؤلفات، رسائل ومعاجم موضوعية، أهمية كبيرة؛ لكنّها لا تخلوا من أخطاء منهجية، أو ما يلحظ من غموض في شـروحات هذه المصنفات؛ فهي وإن بدأ العرب التفكير بها في وقت مبكر من القرن الثالث الهجري، أي قبل تفكير الأوربيين بقرون، غير أنّها كان ينقصها المنهج في جمع المادة اللغويـة والمنطقية في التصنيف والتبويب، والعناية ببيان العلاقات بين الكلمات في الحقل الواحد، إلى غير ذلك.

ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ١٠٩-١١٠).

إنّ الفـارق بيـن جهود العرب في هذا المجال، وما جاء بـه المحدثون الغربيون؛ ربّما يعود إلى تطـوّر مجـالات البحث في العصر الحديث وتقنياته، وهذا الأمر لا يقدح بما قدّمه العرب فهم مبتكرون

وسـباقون في التفكير بقضايا كثيرة، وربّما كان هناك قصور من الباحثين المحدثين العرب في إظهار آثارهم الرائدة في المجالات المختلفة. **ينظر:(قدور، ٢٠٠٨: ٣٦٦-٣٦٧).**

إنّ جـلّ الرسـائل والمعاجم الموضوعية التراثيـة كانت تتخذ من الألوان جزءًا من موضوعاتها التـي كانـت تدور حول قضايا مختلفـة، لعلّ الخيل موضوعها الأساسـي؛ وقد عُنوا بهـا عناية فائقة، لأهميتها في حياة العرب، فتحدثوا عن مكانة الخيل في الإسلام، وذكروا صفاتها وعيوبها، وخصصوا لها مساحات في كتبهم، فتحدثوا عن ألوانها وكلّ ما يخصّها. **ينظر: (التيمي، ١٣٥٨: ١٠٣-١٠٨) و(خليفة، ١٩٨٧: ٩)**؛ ودونوا ذلك في ديوان (العرض)، وهو عبارة عن سجل يخصّ الجيش عندهم، يضـمّ معلومـات إحصائية عـن الخيل في أثناء النفيـر وحركة الجيش، فربّما كانـت الغاية من ظهور هـذه المعاجـم العناية بالخيـل أوّلًا، وربّما التقت معاجم المعاني مع فكرة الحقـل الدلالي عند المحدثين مصادفة؛ وهو ما يفسّر لنا عناية العرب آنذاك بالخيل، وبشكل مفصل ودقيق. **ينظر:(خليفة، ١٩٨٧: ٢٧-٣٠)**؛ وممّا يؤكد الاهتمام بالخيل أنّ العربي يؤثر فرسه على نفسه، ويعاب عليه هزالها، فيسقيها المحض ويشـرب الماء القراح، فكانوا لا يصونون أموالهم صيانتهم لخيلهم وإكرامها. **ينظر:(التيمي، ١٣٥٨: ٢)**، وكذلك كانوا يتناقلون قولًا **للرسـول (ص)** يقول: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة." **(المصدر السـابق: ٤)**، ولذلك تحدثوا عنها كثيرًا، ووضعوا المصنفات التي تتحدث عن اسمائها، وعن كثير من تفاصيلها.

وقيـل: إنّ فكـرة المعجـم، لم تطرق أذهـان القدماء العرب في هذا الوقـت المبكر؛ بما فيه فكرة المعجـم الموضوعـي؛ وإنّما كان عملهم هـذا يتعلّق بمحاولة جمع المادة بهـذه الطريقة تجنبًا للضياع. **ينظر:(ياقـوت، ٢٠٠٥: ١٦)**، يضاف إلى كلّ ذلك القيمة اللغوية لهذه الأشـياء بوصفها جزءًا أصيلًا من الثروة اللغوية، إذ لابدّ من التعريف بها، وعليه ليس في أذهان القدماء أو في نيتهم محاولة بناء حقل دلالي، فلم يكن هذا التصوّر في أذهانهم؛ ولم يرد عنهم أنّهم استعملوا مصطلح (الحقل الدلالي)، ولكن كانت لديهم فكرة قريبة لهذا المفهوم عند الغربيين. **ينظر:(ابن يونس، ٢٠١٦: ٢١)**، أو بصورة أدق؛ أنّ الطرح الغربي جاء ليلامس ما قدّمه العلماء العرب من رسائل ومعاجم معاني قريبة إلى حدّ ما من فكرة الحقل الدلالي؛ حتى لا يكون السابق لاحقًا، واللاحق سابقًا.

وعلى الرغم من وجود اختلافات جوهرية بين القدماء العرب من أصحاب معاجم الموضوعات، والباحثين الغربيين في ما يتعلّق بقضايا أساسـية ذات صلة بالمعنى؛ فهناك تشـابه واضح بينهما، من ناحية تناول المعنى، وتصنيف المدلولات داخل الحقل؛ ولذلك يذهب بعض الباحثين العرب إلى أصالة العمـل العربـي في هذا المجال، وأنّ المفهوم الغربي للحقـل الدلالي يرجع إلى أصول عربية، ويتضح ذلك في المنهج الذي اتبعه الطرفان، مع الأسـبقية للعرب، والشـيء الآخر المنفعة المتحققة في البحث عـن المعنـى فالذي في ذهنه معنى معيّن يبحث عنه؛ فـإنّ طريقة المجال الدلالي أنفع في الوصول إليه من معاجم الألفاظ.

ينظر:(ياقوت، ٢٠٠٥: ٣١٥) و(جاد الربّ، ١٩٩٢: ٢١٣).

وقيل إنّ التأليف في المعاجم الموضوعية التراثية الهدف منه تعليمي؛ **فابن قتيبة** مثلًا جعل كتبه للمتأدبين والكتاب، وذلك بإطلاعهم على أسرار العربية وألفاظها، حتى يستعملوا تلك المفردات في معناها الدقيق، وفي دلالاتها المحددة، فوجب على هؤلاء المتأدبين أو الكتّاب أن يعلموا مفردات الأبواب والموضوعات. **ينظر:(الدينوري، ١٩٦٣: ٩-١١)**، فكان الهدف التعليمي هو الأساس الذي انطلق منه أصحاب معاجم المعاني. **ينظر:(جاد الرب، ١٩٩٢: ٢٤٤-٢٤٥)**، وإلى ذلك ذهب **الثعالبي** الذي يشير إلى أنّه كانت تجري في بعض المجالس أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها، ممّا لم يتنبهوا لجمع شمله، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده، ثمّ يذكر أنّه أخذ عن العلماء السابقين واقتفى آثارهم، وأنّه جمع في التأليف بين أبكار الأبواب والأوضاع وأتى لها باللغات الفصيحة والألفاظ الملائمة. **ينظر:(الثعالبي، ١٩٣٨: ٢-٣)**، وقد سار على نهج القدماء -كما يقول- لأنّ فهم العربية من الدين، فهي مفتاح العلم، ومن أجل ذلك لا بدّ من الإحاطة بها، والتبحر في أسرارها. **ينظر:(المصدر السابق: ١).**

أمّا **ابن سيده** فيذكر أنّ تأليف القدماء غير منتظم، فأراد أن يؤلف كتابًا يجمع فيه ما سقط من اللغة، وتأصيل كلماتها، فكان هدفه إيضاح المبهم منها مع تعليل ذلك؛ والتعبير بدقة عمّا يجول في النفس من أفكار ومعانٍ وخواطر، وبالمفردة المناسبة، وإن لم يجد للمبهم مخرجًا تركه كما وضعه القدماء، بحسب قوله. **ينظر:(ابن سيده، ٢٠٠٥: ١/٧-٨)**، وفي ضوء ذلك كان هدف العلماء العرب الأوّل في التصنيف في هذا المجال، وفي غيره من مجالات اللغة، هو هدف تعليمي وديني ومعرفي يخصّ اللغة وعلومها.

وإنْ كانت تلك الجهود العربيّة القديمة، هي وليدة ظروف خاصة، هي ظروف البيئة العربيّة البسيطة إلاّ إنَّ بعض الباحثين قد وجّه نقداً إلى هذه المعجمات عند مقارنتها بالحقول الدّلالية الحديثة، **فالدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي** يرى أَنَّ أَصحابها لم يقصدوا وضع نظرية في الحقول الدّلالية تنظم مفردات حقل معين تنظيمًا أساسيًا دقيقًا، وإنَّما كان المؤلف العربي يحشر الكلمات حشرًا من غير نظر إلى ما كان أَساسيًا ثمّ ما كان قريبًا منه كما يفعل واضعو نظرية الحقول الدّلالية الحديثة. **ينظر:(العبيدي، ٢٠٠٢: ١٨٩-١٩٠).**

أمّا **د. أَحمد مختار عمر** فرأى أَنَّ أَظهر ما عاب العمل العربي هو الافتقار إلى المنهج في جمع المفردات، وعدم مراعاة التنظيم المنطقي في جمع المواد وتصنيفها، وعدم العناية بشرح العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ١٠٩-١١٠).**

وممّا وجّه من نقد لمعاجم المعاني التراثية ضعف المنهج في جمع المادة اللغوية وتصنيفها، وعدم وضوحه، بخلاف الغربيين الذين جمعوا المادة اللغوية وصنفوها بحسب مجالاتها، وكذلك ضعف العلاقات داخل الحقل الدلالي الواحد، وعدم مراعاة العامل التاريخي وأثره في التغيّرات الدلالية التي

تطـرأ على الكلمـات؛ ممّا يؤدي أحيانًا إلى تغيّر مجالها الدلالي، في حيـن عُني الغربيون بهذا الجانب نظريًـا وعمليًـا. ووجد الباحثون ضعفًا في مراعاة السـياق بنوعيه التركيبـي والخارجي، بوصفه آلية أساسية عند تحليل المعنى وتحديده، ودوره عند الغربيين أساسي في تحليل المعنى داخل الحقل الدلالي. **ينظر:(جاد الربّ، ١٩٩٢: ٢٥٢-٢٥٣).**

ويذهـب بعـض الباحثين المحدثين العرب إلى القول: إنّه لا يجوز أن نقرأ تراثنا بأدوات غربية، فالتـراث العربـي نما في بيئة مختلفـة تمامًا عن البيئة الغربية؛ وعملية إسـقاط الأفـكار الغربية على تراثنـا لا تصـل بنا إلى نتائج موضوعية حاسـمة، ولذلك ينبغي مراعاة العامـل البيئي، الفارق الثقافي والحضـاري بيننا وبيـن الغربيين. **ينظر:(زرّال، ٢٠٠٨: ٢١٧)**، أمّا **د. محمد حسـن جبل** فيرى أَنَّ الحقـول الدّلالية ليسـت نظرية تبحـث عن حقيقة المعنـى، وإنَّما هي طريقة لمعرفـة معاني الكلمات. **ينظر:(جبل، ٢٠٠٥: ١٦١).**

وعلى الرغم من المنهج الصارم لهذه النظرية في تحديد معاني الكلمات، وتطبيقاتها في مجالات مختلفة، لكنَّها مع ذلك لم تسلم من النقد. فقد ذكر (**أولمان**) أَنَّ هذه النظرية لا تزال في مرحلة الطفولة، وقد تكون الآمال المعقودة عليها مجرد اندفاع بالغ الحماس والتفاؤل، فالغموض والتداخل الّذي يعتري معاني الكلمات كثيرًا ما يحول دون تطبيق أيّ نظام دقيق، ومع ذلك تعد هذه النظرية خطوة إيجابية في الطريق الصحيح بسبب اهتمامها البالغ بمجالات الفكر. **ينظر:(أولمان، د.ت: ٢٣٨).**

وسواء أكانت الحقول الدّلالية نظرية أَم طريقة أَم منهجاً فإنَّها استطاعت أَنْ تسهم في إيجاد حلول لبعض المشـكلات اللّغوية التي تتسـم بالتعقيد، مثل الفجوات المعجمية داخل الحقل الدّلالي، فضلاً عن أَنَّ دراسة معاني الكلمات على هذا الأساس هي دراسة لنظام التصورات والحضارة الروحية والمادية السـائدة والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية. **ينظر:(عمر، ١٩٨٢: ١١٠-١١٣) و(عبد القادر، ٢٠٠٢: ٥٥٩) و(يونس علي، ٢٠٠٧: ١٢٥).**

نتائج واستنتاجات:

أدناه النتائج والاستنتاجات التي توصل إليها البحث:

١. غاية هذا البناء التنظيمي المعجمي الوصول إلى المعنى بأسـهل الطرق وأجداها؛ فالبحث عن اللفظ في تجمع دلالي ربّما كان أيسر من البحث عن المعنى في معجم الألفاظ؛ فالصلات الدلالية بين عناصر الحقل سـتؤدي حتمًا إلى بناء تجمعات دلالية مترابطة، وليس هذا فحسـب؛ فمن خلالها يمكن الوقوف على تأشير قيم مجتمع اللغة المعيّنة وخصائصه فكريًا وحضاريًا وثقافيًا.

٢. إنّ جمـع اللغة وتصنيفها في رسـائل ثمّ فـي مصنفات، كان الغرض منه تنظيـم اللغة وتصنيفها ثمّ تسخيرها لتحقيق أهداف مختلفة لغوية وتعليمية ودينية ومعرفية، لعلّ هدفها الأوّل يتعلّق بمعرفة أسرار اللغـة ووجوهها المختلفة لأغراض تعليمية، وشـرح النصّ الديني وتفسـيره وتأويله وفهمه؛ وأهداف أخـرى تتعلّـق بجوانب من حياتهم ومتعلقاتهـا، فكان هذا العمل مدعاة لوضع معاجـم المعاني التراثية المبكـرة التـي تعدّ الممهد الأوّل لظهور نظريـة الحقل الدلالي عند الغربيين؛ ولذلك يُسـتبعد أن يكون

الهدف من بناء هذا النوع من المعاجم هو بناء معجم بطريقة الحقل الدلالي.

٣. إنّ معظم معاجم المعاني كانت تتخذ من الألوان موضوعًا رئيسًا من بين موضوعاتها؛ وقد عنوا بها في وصف الخيل خاصّة لأهميتها في حياة العرب؛ فتحدثوا عن مكانتها في الإسلام، وذكروا صفاتها وما يتعلّق بها، ودوّنوا ذلك في دواوينهم، فكانت الغاية –كما يبدو- من ظهور هذا النوع من المعاجم في جانب كبير منها هو الاهتمام بالخيل؛ فكان هدف التأليف من هذا الجانب لا يُراد منه بناء حقل دلالي، بقدر ما يتعلّق بالعناية بالخيل ومكانتها عند العربي الذي كان يؤثر فرسه على نفسه.

٤. ليس من الإنصاف أن يُقال: إنّ أصحاب المعاجم التراثية لم يقدّموا لنا ما يرقى إلى ما قدّمه الغربيون في هذا المجال! فمن البديهي أن يكون هناك فارق بين المنتج التراثي وما المنتج الغربي؛ من نواحٍ عدّة، فهناك عوامل تتعلّق بفارق المسافة الزمنية بينهما، والبيئة والثقافة، والعوامل الاجتماعية، ودواعي التأليف وأهدافه، فضلًا عن الجانب التقني الذي ينفرد به الغربيون ويدخل في التأليف والتصنيف.

٥. إنّ ما قيل: عن المشابهة بالمصادفة بين المعاجم العربية القديمة ونظرية الحقل الدلالي لا يقدح بأهمية المنجز العربي فهو السابق في هذا المجال؛ وتلك فضيلة كبيرة تحسب للعرب في ترتيب المادة اللغوية وإدارتها بشكلٍ منظم يخدم الوصول إلى المعنى المقصود بأحسن الأدوات؛ حتى أنّ بعض الباحثين العرب المحدثين مَن يذهب إلى أصالة العمل العربي في هذا المجال، وأنّ المفهوم الغربي للحقل الدلالي يرجع إلى أصول عربية حسب قولهم.

٦. وتظهر المقاربة بين معاجم الموضوعات العربية ومفهوم الحقل الدلالي الحديث، في وضع الغربيين لأسس ومبادئ عامة يستند إليها الحقل الدلالي، كالسّياق ومراعاة عامل التاريخ وتأثيره في التغيّر الدلالي وتطوّره ممّا يستدعي تعديل الحقل وعناصره دخولًا وخروجًا، كما روعيت مسائل أخرى مثل: تكرار العناصر داخل الحقل وتداخلها، يضاف إلى ذلك مراعاة الغربيين للعلاقات الدلالية داخل الحقل؛ في حين هناك ضعف في مراعاة العرب لبعض هذه المسائل؛ وعنايتهم لجوانب أخرى كالسياق فقد كان جمع المادة اللغوية من أفواه الأعراب يعني أخذها مع ما يعزز مجراها في سياقها الاجتماعي، فهم كثيرًا ما يعززون كلامهم بالشواهد الشعرية والأقوال المأثورة.

٧. إنّ من دواعي ظهور هذه النظرية عند الغربيين أنّ بعض المدارس اللغوية قد تخلّت عن دراسة المعجم؛ لأنّها بحسب تقديراتهم تقلل من أهمية السياق في تحديد معاني الكلمات، فتصاب بالعموم؛ وكذا فعل النحاة التوليديون التحويليون الذين نظروا إلى المعجم بوصفه جزءًا من النحو. ومن دواعي ظهور هذه النظرية أيضًا ما وجده الباحثون من إشارات في كتابات دي سوسير وهو يتحدث عن العلاقات الإيحائية، ومفهوم القيمة، والعلاقات الترابطية للعناصر التي تنتمي إلى مجال دلالي معيّن.

٨. لا تقتصر نظرية الحقل الدلالي في منهجها التصنيفي على الألفاظ الحسية العامة؛ بل عُنيت أيضًا بالمفاهيم والأفكار والتصورات التجريدية العامة في بناء الحقل الدلالي، فكانت المنطلق عندهم لصناعة المعجم الشامل الذي يخصّ لغة معيّنة، ويمثّل حقبة تاريخية محددة، ينظم مفردات اللغة على وفق نظام مبني على الخبرة والمعرفة ورؤية العالم، وفي ضوء ذلك أصبح لها تصوراتها وإجراءاتها ومنهجها في تحليل المعنى في إطار فكري ولساني؛ وعليه كانت فكرة رؤية العالم هي المرجعية التي انبثق منها

مفهـوم الحقـل الدلالي عند الغربيين؛ وعلى الرغم من ذلك فإنّ هذه النظرية لم تكتمل، إذ بها حاجة إلى المراجعة والتطوير والتقييم حتى تكون منهجًا متكاملًا في تحليل المعنى.

٩. وعلى الرغم من ظهور فكرة معاجم المعاني عند العرب في وقت مبكر، وسـبقهم للغربيين بقرون؛ إلّا أنّ التاريـخ لهـذه النظرية عند العرب القدماء لا يشـير إلى مصطلح(الحقـل الدلالي) المتداول عند الغربيين، وإن كانوا قد اهتدوا إلى هذه الفكرة قبل الغربيين بقرون؛ عندما بدأوا بجمع اللغة من بوادي الجزيرة العربية في رسائل وكتب؛ فكان ظهور هذه النظرية الغربية قد حفزّ الباحثين العرب المحدثين للبحث في معاجم الموضوعات، فوجدوا تشابهًا بينهما؛ غير أنّ هذه العناية لم تكن كافية، وإن تناولوها بالبحث والتحليل؛ لكنّ البحث فيها كان يفتقد إلى العمق والاتساع؛ وإن كانت الفكرة واحدة عند العرب والغربيين من ناحيتي المنهج التصنيفي، وبعض الأسس والمبادئ التي وضعها الغربيون معيارًا للحقل الدلالـي؛ ولذلـك قيل: إنّ فكرة المعجم لم تطرق أذهان العرب في ذلك الوقت المبكر؛ وإنّما كان عملهم هذا يتعلّق بمحاولة جمع المادة بهذه الطريقة تجنبًا للضياع، نظرًا لقيمتها اللغوية.

١٠. إنّ ما يؤكد الهدف اللغوي والتعليمي لهذه المعاجم هو وجود بعض الإشـارات في مقدمات بعض الكتـب العربية القديمـة التي تتحدث عن هذا الجانب، مثل: ابن قتيبة فـي كتابه (أدب الكاتب)، وكتاب (فقه اللغة وسر العربية) لأبي منصور الثعالبي، وابن سيده في كتابه (المخصص)، فهؤلاء، وغيرهم، يشـيرون إلى أنّ غايتهم من التأليف التعريف باللغة وألفاظها وحدودها وأسـرارها؛ بما يخدم المُؤَدِبين والكتّـاب، والباحثيـن عن القوافي؛ وجمع ما سـقط منها وتنظيمها، وتأصيـل كلماتها، وإيضاح المبهم منهـا، ففهـم العربية عندهم من الدين، فهي مفتاح العلم، ومن أجل ذلـك لا بدّ من الإحاطة بها والتبحر في أسرارها.

١١. إنّ التأليف العربي في هذا المجال هو وليد ظروف خاصّة، هي ظروف البيئة العربية المعروفة، فلا يمكن مقارنتها بالمنتج الغربي، أو نقدها وإظهار عيوبها، فالعرب القدماء لم يقصدوا وضع نظرية في الحقول الدلالية، فكان عملهم عشوائيًا، ويبدو ذلك في حشر الكلمات حشرًا، فكان ذلك أظهر ما عاب المعاجم التراثية، والمنهج المتبع في جمع المفردات.

١٢. هنـاك اتجاه عربي حديث يذهب إلى عدم جواز قراءة التراث العربي بأدوات غربية، فكلّ شـيء مختلـف في البيئة وطبيعة الحياة، والأسـس المعرفية والفلسـفية، التي أنتجـت الحضارتين والثقافتين العربيـة والغربية، فعملية إسـقاط الأفكار الغربية على تراثنا لا يصل بنـا إلى نتائج موضوعية، فلابد من مراعاة هذا الجانب عند المقاربة بين معاجم المعاني العربية ومفهوم الحقل الدلالي عند الغربيين.

سابعًا، المصادر والمراجع:

* الآلوسي، محمود شكري، (١٩٢١م)، رسالة في الألوان، **(مجلة المجمع العلمي العربي)**، الجزء٣، المجلد١.

* ابـن جُـزي، عبـد الله بن محمـد، (١٩٨٦ه)، كتـاب الخيل (مطلع اليُمـن والإقبال فـي انتفاء كتاب الاحتفال)، (محمد العربي الخطابي/المحقق)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان.

* ابن خويا، إدريس، (٢٠١٦م)، علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد – الأردن.
* ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (٢٠٠٥م)، المخصص، (عبد الحميد هنداوي/المحقق)، دار الكتب العلمية، ط١بيروت-لبنان.
* ابن سينا، الحسين بن عبد الله، كتاب الشفاء، (١٩٨٨م)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
* الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، (١٩٦٣م)، (محيي الدين عبد الحميد/المحقق)، ط٤، المكتبة التجارية، مصر، القاهرة.
* ابن المثنى، أبو عبيدة معمّر، (١٣٥٨ه)، كتاب الخيل برواية أبي حاتم السجستاني، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند.
* ابن منظور، جمال الدين، (١٩٦٨م)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت.
* ابن يونس، شهرزاد، (٢٠١٦م)، محاضرات في نظرية الحقول الدلالية والتطوّر الدلالي، منشورات جامعة: الإخوة منتوري– قسنطينة، كلية الآداب واللغات، الجزائر.
* الأندلسي، أبو حيّان (١٩٩٨م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، (رجب عثمان محمد/المحقق)، (رمضان عبد التواب/ المراجع)، مكتبة الخانجي، ط١، مصر، القاهرة.
* عزوز، أحمد (٢٠٠٢م) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا.
* الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (١٩٧٦م)، تهذيب اللغة، (عبد السلام محمد هارون/ المحقق)، مكتبة الخانجي، ط١، مصر-القاهرة.
* الاستراباذي، رضي الدين، (١٩٨٢م)، شرح شافية ابن الحاجب، (محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد/المحققون)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
* الإسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب، (٢٠٠٠م)، مبادئ اللغة، (عبد المجيد دياب/المحقق)، القاهرة-مصر، دار الفضيلة.
* أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللّغة، (د. ت)، ترجمة: د. كمال بشر، دار غريب، ط١٢، مصر-القاهرة.
* بالمر، أف آر، (١٩٨٤م)، علم الدّلالة، (مجيد عبد الحليم الماشطة/المترجم)، منشورات الجامعة المستنصرية، العراق –بغداد.
* لتهاني، محمد علي، (١٩٩٦م)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (رفيق العجم/المشرف)، (علي دحروج، وعبد الله الخالدي، وجورج زيناني/ المحققون)، ط١، مكتبة لبنان– ناشرون، لبنان – بيروت.
* الثعالبي، أبو منصور، (١٩٣٨م)، فقه اللغة وسرّ العربية، (مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي/المحققون)، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة- مصر.

* جـاد الـربّ، محمـود، (١٩٩٢م)، نظرية الحقول الدلاليـة والمعاجم المعنوية عنـد العرب، بحث، منشور في (**مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة**)، الجزء٧١.
* جبري، شـفيق، (١٩٦٧م)، لغة الألوان، مقال منشـور في (**مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـق**)، (الجزء الثاني)، المجلد (الثاني والأربعون).
* جبل، محمد حسن حسن، (٢٠٠٥م)، المعنى اللّغوي (دراسة عربيّة مؤصلة نظرياً وتطبيقياً)، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر.
* جرمـان، كلـود- ولوبلون، ريمـون، (١٩٩٧م)، علم الدلالـة، (نور الهدى لوشـن/المترجم)، ط١، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي – ليبيا.
* الجوهري، إسـماعيل بن حماد، (٢٠٠٩م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مرتب ترتيبا ألف بائيـا فـي مجلد واحد)، (محمد محمد تامر، وأنس محمد الشـامي، وزكريا جابر أحمد/المحققون)، دار الحديث، مصر- القاهرة.
* حسـانين، أحمد طه، (١٩٩٥م)، حواشـي ابن بري (ت٥٨٢ه)، وابن ظفر الصقلي(ت٥٦٨)، (على درة الغواص في أوهام الخواص للحريري)، (أحمد طه حسانين سلطان/المحقق)، ط١، مطبعة الأمانة، مصر- القاهرة.
* حيـدر، فريد عوض، (٢٠٠٥م)، علم الدلالة دراسـة نظريـة وتطبيقية، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة –مصر.
* خرما، نايف، (١٩٧٨م)، أضواء على الدراسـات اللغوية المعاصرة، كتاب منشـور في مجلة (**عالم المعرفة**)، الكويت.
* الخفاجي، شـهاب الدين، شـرح درة الغواص، (٢٠١٢م) ط١، (ميسون عبد السلام نجيب/المحقق)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة.
* خليفـة، عبـد الكريـم، (١٩٨٧م)، الألوان في معجم العربية، بحث، منشـور في (**مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**)، العدد (٣٣)، السنة الحادية عشرة، كانون الأوّل.
* دي سوسـير، فردينان، (١٩٨٤م)، علم اللّغة العام، (يوئيل يوسـف عزيز/ المترجم)، (مالك يوسف المطلبي/المراجع)، دار آفاق عربيّة، العراق – بغداد.
* زرّال، صـلاح الديـن، (٢٠٠٨م)، الظاهرة الدلالية (عند علماء العربيـة القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلم ناشرون.
* سيبوية، أَبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٩٨٣م)، الكتاب، (عبد السلام محمد هارون/المحقق)، ط٣، عالم الكتب، القاهرة – مصر.
* السـيوطي، جلال الدين، (د.ت)، المزهر في علوم اللغـة وأنواعها، ط٣، (محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم/المحققون)، ط٣، مكتبة دار التراث، مصر-القاهرة.
* شلاش، هاشم طه، (١٩٧١م)، أوزان الفعل ومعانيها، مطبعة الآداب، د.ط، النجف الأشرف.
* طحّان، ريمون، (١٩٨١م)، الألسنية العربية، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان.
* عضيمـة، محمد عبد الخالـق، (١٩٩٩م)، المغني في تصريف الأفعال، ط٢، دار الحديث، القاهرة-

مصر.
* عبد الجليل، عبد القادر:
١- (٢٠٠٢م)، علم اللّسانيات الحديثة (نظم التحكم وقواعد البيانات)، ط١، دار صفاء للنشر، عمّان –الأردن.
٢- (٢٠١٤م)، المدارس المعجمية (دراسة في البنية التركيبية)، ط٢، دار صفاء، الأردن– عمّان.
* عبد الجليل، منقور، (٢٠٠١م)، علم الدّلالة أُصوله ومباحثه (في التراث العربي)، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا.
* عبد العبود، جاسم محمد، (د.ت)، نظرية الحقل الدلالي دراسة تطبيقية وفقًا للعامل النحوي، بحث منشور في (**مجلة كلية الآداب– الجامعة المستنصرية**)، العدد٩٧.
/العبيدي، رشيد عبد الرحمن، (٢٠٠٢م)، مباحث في علم اللّغة واللسانيات، ط١، دار الشؤون الثقافية العامّة (آفاق عربيّة)، بغداد –العراق.
* عرار، مهدي أسعد، (٢٠٠٢م)، جدل اللّفظ والمعنى (دراسة في دلالة الكلمة العربيّة)، ط١، دار وائل للنشر، عمّان – الأردن.
* علي، محمد محمد يونس، (٢٠٠٧م)، المعنى وظلال المعنى (أَنظمة الدّلالة في العربيّة)، ط٢، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان.
* عمايرة، حنان إسماعيل، (٢٠١٢م)، معاني الزيادة في الفعل الثلاثي في اللغة العربية، بحث، منشور في: (**مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية**)، مركز اللغات- الجامعة الأردنية، مج٢٠- ع٢.

* عمر، أحمد مختار:
١- (١٩٨١م)، ألفاظ الألوان في اللغة العربية، (**المجلة العربية للعلوم الإنسانية**)، مج١– ع١.
٢- (١٩٨٢م)، علم الدلالة، الكويت، ط١، مكتبة دار العروبة.
* الفراهيدي، أَبو عبد الرحمن الخليل بن أَحمد، (١٤٠٩ه)، كتاب العين، ط٢، (مهدي المخزومي، و: إبراهيم السّامرائي/ المحققان)، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، إيران.
* الفجر، محمد خالد، (٢٠١٢م)، نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها في فقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي، بحث، منشور في (**مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**)، مج٨٧، ج١، دمشق- سوريا.
* فندريس، ج، (١٩٥٠م)، (عبد الحميد الدّواخلي، ومحمد القصّاص/المحققان)، مكتبة الأَنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر.
* الفيومي، أحمد بن محمد، (١٩٧٧م)، المصباح المنير، (عبد العظيم الشناوي/المحقق)، ط٢، دار المعارف، مصر.
* قدور، أحمد محمد، (٢٠٠٨م)، مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق –سوريا.
* كريستال، ديفيد، (١٩٩٦م)، علم الدلالة، (مازن الوعر/المترجم)، (**مجلة علامات**)، ج٢١، مج٦، المغرب.

* كمال الدين، حازم علي، (٢٠٠٧م)، علم الدلالة المقارن، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر.
* ماطـوري جـورج، (١٩٧٠م)، منهج المعجمية، (عبد العلي الوَدغيري/المترجم)، منشـورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب- الرباط.
* النمري، أبو عبد الله الحسين بن علي، (١٩٧٦م)، الملمّع، (وجيهة أحمد السطل/المحقق)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق.
* النميري، الراعي، الديوان، (١٩٩٥م)، (واضح الصمد/الشارح)، ط١، دار الجيل، بيروت –لبنان.
* نهر، هادي، (٢٠٠٧م)، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط١، دار الأمل، إربد – الأردن.
* ولد عدود، محمد سـالم، (د.ت)، كشـف الطُّرة (توشـيح لامية الأفعال لابن مالك)، (عبد الحميد بن محمد الأنصاري/المحقق)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
* ياقوت، سليمان محمود، (٢٠٠٥م)، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر.